قراءة في مواقف الإصلاح ومدى تبعيتها للتوجهات الغربية

بقلم القائد
خميس بن صالح المرواني الدهمي
مسفر الجوفي

بيت المقدس



1443 هـ 2022 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

قراءة في مواقف الإصلاح
ومدى تبعيتها للتوجهات الغربية

بقلم القائد/

خميس بن صالح المرواني الدهمي

(مسفر الجوفي)

– تقبله الله –

بيت المقدس

المحتويات

مقدمة الناشر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فهذا كتاب للقائد المجاهد خميس المرواني -تقبله الله- والذي استشهد بغارة صليبية أمريكية عام 1440هـ، ويتكلم فيه عن حزب الإصلاح الإخواني في اليمن وتبعيته للغرب، وقد كان الشهيد في مرحلة من مراحل حياته من أعضاء هذا الحزب ومضطلعاً بأحواله، ثم تركهم لما رأى منهم ما رأى، وهداه الله إلى إخوانه المجاهدين، وكتب بعد ذلك نصيحته لأعضاء هذا الحزب ولعامة المسلمين عبر هذه الكتب.

نسأل الله تعالى أن ينفع منتسبي حزب الإصلاح وعامة المسلمين في اليمن وخارجها.

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي هذا البحث

هـذا البحـث هـو خلاصـة تأمـل في واقـع حركـة الإخـوان المسـلمين، وخلاصـة تجربـة خاضـها كاتـب السـطور كعضـو في هـذه الحركـة لمـا يقـارب الخمسـة عشـر عامـا وهبهـا جـل جهـده ووقتـه، وكلـه أمـل وطمـوح إن يأتي ذلـك اليـوم الـذي تسـود فيـه العـالم وتحقـق فيـه هـدفها الأعلـى "إعـادة الخلافـة الإسـلامية " ومـن ثم "أسـتاذية العـالم"، لينعم العـالم كلـه في ظلهـا بالخـير والأمـن والسـلام، لقـد كـان يتغنى كاتـب السـطور بأهـداف الحركـة وشـعاراتها فهـي بالنسـبة لـه روح يسـري في جسـد هـذه الأمـة فيحييـه بالقـران وهـي ذلـك المـاء العـذب الـزلال الـذي يتـدفق بكـل هـدوء ليسـقي الأرض المجدبـة فيحولهـا حديقـة غنـاء وروضـة فيحـاء تغـرد في جنباتهـا طيـور العـزة والكرامـة، وهـي ذلـك البلسـم لجـراح أمـة تمزقـت أوصـالها وهتـك عرضـها ونهبـت دارهـا وأرضـها وأصـبحت في ذيـل الركـب حسـيرة كسـيرة، وهـي الأم الحانيـة لطفـل يتـيم وحيـد غـاب أبـوه علـى قلـة ذات يـد وشـظف مـن العـيش وهـي حـرز المستضـعفين والمنكـوبين، ومـلاذ الحيـارى والمكلـومين، فيـا الله مـا أحلـى تلـك الأحـلام ومـا أحسـن تلـك الآمـال، ومـا أسـوءها وأشـد وقعهـا علـى الـنفس حينمـا تتحـول إلى سـراب بقيعـة يحسـبه الظمـآن مـاء، لكـم كـان يتطلـع كاتـب السـطور لـذلك اليـوم الـذي بـنى عليـه أحـلام الغـد وآمـال المسـتقبل متمـثلا بقـول الطغرائي:

أعلل النفس بالآمال أرقبها... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

هكـذا كـان يتطلـع وهكـذا كـان يرنـو ويفكـر، وكـم كانـت صـدمته شـنيعة وشـنيعة جـدا حينمـا اتضـحت لـه الحقيقـة المروعـة بأن هـذه الأهـداف وهـذه الشـعارات في واد وان مـا عليـه

واقع الحركة اليوم و ما ترنو إليه قيادتها في واد آخر، يا الله كم أصيب كاتب هذه السطور بخيبة أمل وهو يرى قيادة الإخوان في العراق ومن قبله أفغانستان وهم يمتطون صهوات الدبابات الأمريكية لاحتلال بلاد الإسلام وهتك حرمات المسلمين في وسط مباركة من قبل فروع حركة الإخوان في العالم ومنها حركة الإخوان في اليمن، يا الله لا أكاد اصدق هل هذه حركة الإخوان التي رفعت شعار الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا؟ هل هذه حركة الإخوان التي من أهم مبادئها تحرير الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي؟؟ هل هي فعلا الحركة التي أنجبت حسن البنا وسيد قطب ويوسف طلعت وعبد القادر عودة؟؟

لا، لا وربي لا أكاد أصدق هذا؟؟

ولهذا وللإجابة عن هذا كان هذا البحث المتواضع والذي أجبت فيه عن ما يعتلج بنفسي.. من بواعث القلق والحسرة على مركب أراه أمام ناظري تكاد تبتلعه الأمواج العاتية وبناء يتصدع ويتشقق أخذت تعشعش بين صدوعه وشقوقه أصناف الحيات والعقارب، وليعلم القارئ الكريم إني إنما وظفت قلمي للحديث هنا عن مواقف حزب الإصلاح السياسية ومدى تبعيتها للتوجهات الغربية لأسباب سأتحدث عنها لاحقا إلا إني قدمت لها بمقدمة أراها كافية لدراسة الخلفية الفكرية التي قامت على ضوئها مواقف حركة الإخوان المسلمين الأخيرة – ومنها بالطبع حزب الإصلاح - بدءاً بقبول الإخوان للتحاور مع الغرب وانتهاء بمشاركتهم والتمهيد لهم باحتلال بلاد المسلمين كما حصل في العراق وأفغانستان والصومال، وقد استفتحت تلك المقدمة بنبذة مختصرة عن الحروب الصليبية والتي انتهت باستعمار البلدان الإسلامية وتقسيمها وفقا لاتفاقية سايكس بيكو ومن ثم تسليمها لأذنابهم من دعاة القومية واليسارية ليحكموا البلاد الإسلامية بالوكالة نيابة عنهم، ليقوموا بتنفيذ ما تعلموه في مدارس المستعمرين الأسياد وليسوموا المسلمين سوء العذاب مما كان له أكبر الأثر في نشوء وقيام الجماعات الإسلامية وعلى رأسها حركة الإخوان المسلمين التي قوبلت بمحاربة شرسة من قبل الغرب وأذنابهم من حكام المنطقة العملاء حتى أنهم اجتثوها من جذورها في بعض البلدان وبالرغم من كل هذا فما ازدادت الحركة الإسلامية مع المحن والخطوب إلا صلابة ورسوخا في وجدان المسلمين ليبدأ الغرب بمرحلة

جديدة هي مرحلة الاحتواء، ليحي بذلك حلمة القديم الجديد والذي بدأه على يد مُحَّد عبده وجمال الدين الأفغاني والكواكبي وغيرهم من تلاميذ جب وكرومر ومخلفات مدارس الاستشراق، ولقد كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر احد أهم الأسباب الفاعلة والمؤثرة في تقديري التي دعت الغرب مجددا للتفكير في إحياء حلمهم القديم الجديد هذا، وان كانوا في الحقيقة لم يتوقفوا لحظة واحدة عن العمل في الوصول إلى هذا الهدف إلا إنهم بعد أحداث سبتمبر كانوا أكثر إصرارا على تحقيقه لأسباب قد تجدون الإجابة عنها في ثنايا هذا البحث يشهد على ذلك ما صدر عن دوائر صنع القرار في الغرب من دراسات وخطابات بعد تلك الأحداث داعية للتعامل مع من أسمتهم الإسلاميين المعتدلين موضحة شروطها للاعتدال المطلوب، وستقرؤون في ثنايا هذه المقدمة نتفا من بعض هذه الدراسات ومواضيع أخرى ذات صله لما نحن بصدد الحديث حوله وكل ما أرجوه من القارئ الكريم — أعني عضو الحركة – أن لا يكون التعصب للحركة والولاء الأعمى لقيادتها مانعا من قبول الحق، فالرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بهم، وهي قاعدة ذهبية لو عرفنا قدرها، وان من أهم الأسباب التي دعتني للكتابة في هذا الموضوع إن قيادة الإخوان ومنها قيادة الإصلاح أصبحت تسير بهذه الحركة بخطى متسارعة إلى هوة سحيقة والله وحده الذي يعلم إلى أين يكون قرارها إذا ما استمرت بنفس هذا السير؟ يتجلى ذلك من خلال مواقفها الأخيرة التي لا تفرح إلا المحاربين لهذا الدين الكائدين له مما يلزمنا جميعا الوقوف وقفة رجل واحد في وجه هذه الانحرافات أياً كان مصدرها فإننا نتعبد لله بما شرع وليس بأهواء فلان أو علان من الناس وليعلم الجميع إننا لم نبايع قيادة معينة أو أمير محدد وإنما بايعنا جماعة متكاملة الملامح بمبادئها وأهدافها وشعاراتها هي جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها حسن البنا وهذا هو منهجها بين أيدينا، فمن عمل بهذا المنهج واتبعه فهو قائدنا ومنا وفينا، وأما من اتبع هواه وارتضى أفكارا غير نهج هذه الحركة فلسنا ملزمين بطاعته ولو تبوأ أعلى المناصب في الحركة، فإنا ننقاد لمبادئ لا لأشخاص ومن هنا فإن خروجنا عن طاعة قيادة الحركة الحالية ليس نقضا للعهد أو نكثا للبيعة وإنما هو واجب شرعي وفريضة ربانية للوقوف في وجه انحراف هذه القيادة وإعادة للأمور إلى مسارها الصحيح، وهذا هو المطلوب منا شرعا، أما أن نطأطئ رؤوسنا ونسكت عن هذه الانحرافات بحجة الطاعة

والوفاء بالبيعة، فليس من منهج الإسلام في شيء بل هو من ميراث الأمم الهالكة قال تعالى عن قوم فرعون ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: 54] فخروجنا عن طاعة هذه القيادة وقيامنا في وجه هذه الانحرافات هو في حقيقته وفاء للبيعة وقياما بالعهد الذي قطعناه على أنفسنا للمضي قدما في تحقيق أهداف هذه الحركة كما حددها الإمام الشهيد ووالله الذي لا اله إلا هو إنها لمن مصائب الدهر العظام أن نعطي صفقة أيدينا وثمرة أفئدتنا ثم نجعلها بيد من يزايد بها في أسواق النخاسة السياسية ويبيعها بثمن بخس لمن يدفع أكثر في مزادات الشرق والغرب، ويهمني أن أذكر هنا أن نقدي الشديد والصريح لهذه المواقف لا يتعارض مع العلمية والموضوعية، بل هو جزء منها، ولنا في القرآن الكريم نموذج يحتذي في الصراحة والوضوح، وتسمية الأشياء باسمها، فالانحراف انحراف والضياع ضياع، والكفر كفر، والجاهلية جاهلية، والنفاق نفاق، والصراحة مطلوبة لأن البشرية تشكو من الضياع العقائدي والضبابية الفكرية، فلا مكان للمجاملات، ولا أنطلق في حديثي هذا من غضب أو كراهية لأحد كما قد يروج البعض، وما كان في كلامي مما يخالف كلام الله ورسوله فأنا أتراجع عنه، فالكتاب أولا وأخيرا دعوة للمخلصين من أبناء هذه الحركة لإعمال العقل وللتعمق في دراسة الحركة ومبادئها وأهدافها حتى نستطيع التمييز بينها وبين ما تمارسه القيادة الحالية من انحرافات ومخالفات باسم الحركة نفسها، ولا يسعني في هذا المقام الا أن أشكر كل الإخوة الأفاضل من العلماء والدعاة وطلبة العلم الذين دخلت معهم في نقاشات ساخنة حول هذا الموضوع واخص بالذكر أولئك الذين ابدوا حماسهم واستعدادهم لاستئناف السير على نهج الخط الأصيل لحركة الإخوان المسلمين وإنّا عازمون بإذن الله على السير في هذا الخط، لا نقيل ولا نستقيل حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، مع يقيني المطلق بان الحق لن ينتصر بخائف أو مداهن وعلى من يتحلى بهاتين الخصلتين أن يراجع حساباته ويذكر الوقوف بين يدي الله، فلا خير في حق يبقى حبيس صدر صاحبه والساكت عن الحق شيطان أخرس فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان رجل يلقي الرجل فيقول له يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم بعض ثم

قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [المائدة: 78-80] إلى قوله: (فَاسِقُونَ)، ثم قال: «كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم» رواه الترمذي (3048) وإنا والله نخشى من لعنة الله واليم عقابه، فلا والله لن نسكت تحت حجة نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه وهي مقوله فاسدة لم يقلها أهلها إلا لتبرير أخطائهم وإسكات الناس عن انحرافاتهم بهذه الحجة الواهية وعلى أولئك الذين يسكتون ويدعونا للسكوت عن هذه الانحرافات تحت هذه الحجج أن ينظروا صنيع الله ﷻ في بني اسرائيل فهو أحكم الحاكمين والأعلم بأحوال عباده.

أما الأسباب التي دعتني للحديث عن مواقف الإصلاح السياسية ومدى تبعيتها للتوجهات الغربية فهي كثيرة ومنها:

1- أنني لن اتهم بأني أفشيت شيئا من أسرار الحركة – إن كان هناك ثمة أسرار – أو تقولت على قيادتها فكل ما نقلته هنا هو جزء من الممارسات اليومية لقيادة حزب الإصلاح والذي يعرفها أدنى أي متابع ومطلع على الأحداث وغيب عنها شباب الحركة وأفرادها، فلهم ومن أجلهم كتبت هذا البحث.

2 – أن قيادة الإصلاح لن تستطيع إنكار أو تكذيب ما ذكرته هنا عن مواقفها السياسية فكل ما ذكرته عنها موثق في وسائل الإعلام من صحف وقنوات فضائية وخصوصا صحف الإصلاح ووسائل إعلامه، وبالتالي فلن اذكر هنا من المواقف إلا ما تداولته وسائل الإعلام أو ما امتلك عليه الأدلة الكافية لإثباته، وأنا اعني ما أقول هنا.

3 – أن هذه المواقف من المسائل التي لا يجوز السكوت عنها شرعا حيث مست عقيدة المسلم كالولاء والبراء وفريضة الجهاد التي أماتتها جماعة الإخوان تحت اسم النضال السلمي حتى في حالة الاحتلال ودفع الصائل.

4 - أن أكثر هذه المواقف جاءت في وقت تواجه الامة الإسلامية أقوى وأشرس حملة صليبية على مر التاريخ مما يوحي بحالة من التوافق بين الطرفين، مما يلزم فضحها وبيان عوارها لدخولها في خانة خذلان الأمة وطليعتها المجاهدة.

5 - أن هذه المواقف من الأعمال الظاهرة التي سوغت لعوام المسلمين إتباع الغرب والتشبه بهم وقد تؤدي بهم إلى الموالاة لهم وهي خسارة الدنيا والآخرة والعياذ بالله.

6 - أن في إنكارنا لهذه المواقف ونقدنا لها قياما بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المأمور بهما شرعا.

7 - أن أكثر هذه المواقف مورست من قبل قيادة الإصلاح بطريقة ظاهرة وعلنية مما يتوجب إنكارها بطريقة علنية ظاهرة إذ لا يصح الإسرار في مثل هذه الحالات وهو منهج نبوي في التعامل مع هكذا قضايا وهذا يقطع الطريق على من يحبذون التحاور في الظلام والهمس من وراء الكواليس.

8 - أن هذه المواقف تظهر مدى التبعية والروح الانهزامية التي أصابت قيادة الإخوان أكثر من غيرها من المواقف.

لقد أصبحت جماعة الإخوان في نسختها الحالية كذلك المريض الذي لا يرجأ برؤه والحل انتزاع الأعضاء السليمة فيه لينتفع بها غيره ووالله لو كان الإسرار بالنصح سيغير من واقع الحركة لما لجأنا إلى الكتابة عنه.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء المرسلين، وبعد: .

لم تكن دوافع الحروب الصليبية ضد المسلمين بسبب ما لدى المسلمين من ثروة أو ما تتمتع به بلادهم من موارد ولم يكن حقيقة الصراع بين أمم الغرب الصليبي وأمة الإسلام رأس شخص أو شخصين يعتبرهم الغرب إرهابيين ولم يكن بسبب ما لدى الغرب من صحوة ضمير ورحمة بالإنسان المسلم المتخلف! لتنقذه من واقع هو من صنعه أصلاً ولو بالحديد والنار.

لم يكن شيء من ذلك أبداً لقد وضح الله تعالى تلك الأسباب بكل بلاغة وإيجاز اختصارا للزمن والبحث في آية واحدة فقال تعالى ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120] كل هذا لكي نعفي أنفسنا من عناء البحث عن الأسباب في سر هذا الحقد الصليبي الغربي على أمة الإسلام ولنتجه بكل جدية وصدق نحو البحث الجدي لطرق ووسائل المواجهة والتي أحكمها القرآن الكريم أيضاً، ولا يعنى هذا أن نغفل الدوافع السياسية والاقتصادية للغزو الصليبي والتي ما هي في الحقيقة إلا تبعا للدوافع الدينية فمنذ اليوم الأول لرسالة الإسلام واليهود والنصارى يمكرون بهذا الدين ليلاً ونهاراً بوسائل شتى وأساليب متعددة ما ليس هذا المجال لبسطه والهدف من كل هذا هو محاربة هذا الدين وتحطيمه في نفوس المؤمنين به أو على الأقل تشويهه أو تهميشه من حياة معتنقيه وإبعاده عن مسرح حياتهم يقول تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32)﴾ [التوبة: 32] وقد أخذ حرب الصليبيين ضد المسلمين عدد من الصور يمكن إجمالها فيما يلي:

1. الغزو المباشر لبلاد المسلمين من خلال الحملات الصليبية الهمجية ومهما كانت دوافع هذه الحملات إلا أنها في المحصلة النهائية تعبر في حقيقتها عن ما لدى الغرب من أحقاد تتوارثها أجيالهم على الإسلام والمسلمين منذ كان للإسلام وجود، ومنذ وقف المسلمون في مواجهة الدولة الرومانية وإلى يومنا هذا. يقول المستشرق

المشهور الأميريلون كايدتاني (1869م ــ 1926م) والذي بذل معظم أمواله ليؤرخ لحركة الفتح الإسلامي في كتابه المعروف "حوليات الإسلام" والذي يوضح لنا سر الحقد الصليبي على الإسلام في مقدمة كتابه حيث يقول "إنه إنما يريد أن يفهم من عمله هذا سر المصيبة الإسلامية التي انتزعت من الدين المسيحي ملايين من البشر في شتى أنحاء الأرض ما يزالون يدينون برسالة مُحَمَّد ويؤمنون به نبياً ورسولاً"، وحسبنا هذا لنؤكد أن الأحقاد قديمة وحديثة هي التي أذكت نيران الغزو الصليبي في أخريات القرن الخامس الهجري وهي التي تعطي هذا الغزو القدرة على المضي في التاريخ إلى يومنا هذا، ولقد وضح "أللنبي" وهو يحتل بيت المقدس في العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي أن تحالف دول أوربا ضد دولة الخلافة العثمانية كان امتداداً لتلك الحروب الصليبية التي بدأت في القرن الخامس الهجري عندما قال وهو يستولي على بيت المقدس " الآن انتهت الحروب الصليبية " ونحن بدورنا نقول: أن الحروب الصليبية ضد العالم الإسلامي لم تنته بعد الاحتلال الصليبي لبيت المقدس ولا بعد زرعهم لدولة إسرائيل في قلب العالم الإسلامي ذلك أن الدوافع قائمة والأسباب متجددة وهذا ما أكده بوش في حملته الصليبية الأخيرة على أفغانستان والعراق حينما قال أنها حرب صليبية وهذا تأكيد على ما لدى الغرب من كراهية وحقد على الإسلام والمسلمين مهما وضع على وجهه القبيح من أقنعة ليخدع بها المنهزمين من أبناء أمتنا وصدق الله تعالى ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: 118] وبما أن الحقد قد ملأ قلوبهم ولأن همهم الأوحد تحقيق معتقداتهم التي أخبر الله عنها، فقد نفد صبر الرئيس الأمريكي بوش ولم يستطع كتم عقيدته فصرح في مؤتمر صحفي أجراه يوم الأحد 2001/9/16 م الموافق 1422/6/28هـ بقوله:

"This crusade، this war on terrorism، is going to take a long time"

وترجمة كلامه المتقدم – قاتله الله – هو قوله: "هذه الحرب الصليبية، هذه الحرب ضد الإرهاب سوف تأخذ وقتاً طويلاً" ثم قال: "الواجب على الأمريكيين أن يتحلوا بالصبر".

إن التاريخ يشهد على أن الغزو الصليبي لبلاد المسلمين لم يتوقف في يوم من الأيام وإلى يومنا هذا – إلا في أذهان المغفلين من أبناء أمتنا – وإنما الذي تغير في الحقب الأخيرة تعدد أجنحة المكر وتنوع أهداف الغزو، فالأغراض المحركة للحملات الصليبية الأولى كانت ثلاثة؛ دينية وسياسية واقتصادية، ولقد اتسمت في جميع مراحلها بانعدام القيم الأخلاقية بل والإنسانية، دع عنك الحقد الدفين على الإسلام ونبيه ﷺ والمؤمنين فإنه روح تلك الحرب ومحركها الأول، وكان البابا "أوربان الثالث" قد ألقى خطاباً في مدينة "كليرمون فران" في فرنسا سنة 488 استجابة لنداء "ألكسيس كومن" إمبراطور بيزنطا الذي طالبه بإعلان الحرب على السلاجقة الأتراك، بل على المسلمين، واسترداد بيت المقدس من أيديهم، وعلى إثر هذا انطلقت سبع حملات من الحروب الصليبية من عام 491 – 647 هـ، وفي الحملة الأولى قصد الصليبيون الديار المقدسة وفلسطين سنة 491 – 492 هـ وأبادوا مدناً بكاملها (كما في الكامل لابن الأثير: 19/9، وذيل تاريخ دمشق لأبي يعلى بن القلانسي: ص136)، ومن ذلك مدينة حيفا ومدينة بيروت أبادوا سكانهما إبادة تامة سنة 493 هـ، وأبادوا الذكور من سكان مدينة قيسارية، وقتلوا في القدس ما بين أربعين وسبعين ألفاً سنة 492 هـ، بل قتلوا فيها عائلات بأكملها ليظفروا ببيوت المدينة وكنوزها من دون أهلها، كما ذكر ذلك مؤرخو النصارى، وشهد شاهد من أهلها، من أمثال "وليم الصوري"، في كتابه "A History of Deeds done beyond the sea" ط جامعة كولومبيا سنة 1943، وكما ذكرت المؤرخة الألمانية "زري أولدنبورج" في كتابها عن الحروب الصليبية: "إن المذبحة التي أقدم عليها الصليبيون في اجتياحهم القدس تعدُّ في عداد أكبر جرائم التاريخ"، وأما وحشية التنكيل والتعذيب فقد ذكر "ألبرت الإيكسي"؛ أن أربعين من فرسان"غودفري بويون" أول ملوك اللاتين وهو أول زعيم للمملكة الصليبية في القدس – قتل سنة 1100م بسهم أثناء توجهه لحصار عكا – باغتوا سنة 493 هـ الآلاف من سكان وأهالي "أرصوف" من العاملين في الحقول واختاروا منهم 500 مثلوا بهم وجدعوا أنوفهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم حتى أثاروا بذلك الهلع والفزع في سكان البلاد، ففارق بعض البلاد جميع سكانها حتى لم يبق للحياة أثر فيها كما وقع في يافا والرملة وبيسان وطبريا (انظر كتاب القاضي الفاضل: ص4 فما بعدها).

وهكذا وقع للمسلمين في الأندلس لما نزل الصليبيون بساحتهم وشرطوا على من أراد الإقامة من المسلمين أو الرحيل منهم 55 شرطاً ثم غدروا بهم وخانوهم وأحرقوا مصاحفهم وألقوها في النجاسات وغير ذلك مما يندى له الجبين –كما ستراه مفصلاً إن شاء الله –. وكانت هذه الحملات وحتى التي باءت منها بالفشل كالحملة الثانية سنة 539 هـ والثالثة سنة 583 هـ وهي سنة هزيمتهم في حطين، والرابعة سنة 595 والخامسة سنة 614 هـ، جميعها تهدف إلى استبدال أقوام بأقوام ومقدسات بمقدسات وإفراغ البلاد من أهلها وإحلال سكان أوروبا محلهم إذ كانوا يرون أن الأرض المقدسة لن تخلص لهم إلا إذا غيروا طبيعتها السكانية وأحلوا قومهم محل أهلها (انظر كتاب القاضي الفاضل: ص4، وفيه النقل عن مراجع أجنبية).

وكانت السياسات الأوروبية الغابيَّة إذ ذاك لا ترى أي فرصة للتعايش مع الغير ولا التكيف مع تعدد المبادئ والعقائد والحضارات – وهو اللباس الذي تواري به الحملة الصليبية اليوم سوءتها – فلم يكن شيء سوى سفك الدماء والقتل والقهر والظلم ولم يقع شيء من التخفيف من الغلو في ذلك إلا لبعض مصالح الغزاة الصليبيين، حيث أن خطة استقدام السكان من أوروبا لم تحقق الكفاية المطلوبة لسد حاجات الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها، مما هو قوام الحياة المدنية فأخذوا يحثون المزارعين وأصحاب المهن والتجار على البقاء أو العودة إلى الديار التي خرجوا منها! ولأن الحاجة ماسة إلى تمويل خزائن أمراء وملوك الغزاة عن طريق دافعي الضرائب والذين لم يكونوا إلا من المستضعفين من المسلمين. وبنهاية الحملة الصليبية السابعة سنة 647 هـ والتي أسر فيها الملك الفرنسي "لويس التاسع" مع جملة من أمرائه ثم فشل محاولته غزو مصر سنة 669 هـ وهلاكه إلى سخط الله وعذابه؛ توقفت الحملات على مصر والشام وانشغل الصليبيون بحروبهم الداخلية، حتى إذا ما سقطت القسطنطينية بأيدي الفاتحين العثمانيين سنة 857 هـ كان ذلك نذير الخطر الذي أيقظ أوروبا، والتي كانت إلى ذلك الحين تتلفع بمروط الجهالة وتتخبط في متاهات الظلام، وحملها هذا الخطر الداهم على اختراق صفوف العالم الإسلامي لتكون "قرون الاختراق" الخمسة الماضية "الجذر الأساس" و"حمة الأفعى" للحملة الصليبية التي نتصدى

لها اليوم بـ "أنيابها" المتباينة وأذرعها المختلفة، لكن بوجهها المنمنم أيضاً كما ستراه عرياً مهتك الأستار بحول الله وقوته.

2. ومن الصور التي لجأ اليها الصليبيين ضد أمة الإسلام تهميش الإسلام من حياة المسلمين وإبعاده عن مسرح حياتهم، فلقد عمل الغربيون على محاربة الإسلام في نفوس المسلمين من خلال نشر ثقافتهم أفكارهم الوافدة وقد أوجدوا من أبناء المسلمين من ينفذ لهم تلك المخططات ويحقق لهم أهدافهم في حالة خروجهم من بلاد المسلمين حيث أصبح هؤلاء هم البديل المقرر من الاستعمار الغربي الذي ضعف وجوده مباشرة عقب الحرب العالمية الثانية عام 1945م بعد أن اطمأنوا على قيام الجامعة العربية والتي قامت على مبادئ قومية بحتة لا علاقة لها بالإسلام من قريب أو بعيد وبعد أن تأكدت الدوائر الغربية بأنها قد أصبحت بديلاً عن الخلافة الإسلامية.

3. الصورة الثالثة التي لجأ لها الصليبيين في حربهم ضد الإسلام هي العمل على تشويه الإسلام وذلك من خلال الدس فيه ما ليس منه والزيادة فيه أو النقص منه وتفسير وتطويع نصوصه بما يناسب توجهاتهم وأهدافهم وأسسوا لهذا الهدف العديد من المؤسسات ومراكز الأبحاث وقد ظهر قديما ما يسمى (بالمستشرقين) الذين درسوا الإسلام دراسة متعمقة ليسهل لهم الطعن فيه والذين قاموا بمهمتهم على أكمل وجه ليورثوا حقدهم على شكل آراء وأفكار تم إدخالها بشكل هادئ في الدين الإسلامي بغية تمييعه في الحضارة الغربية فبعد أن انهزم الغرب في حروبه الصليبية على العالم الإسلامي، وكانت شديدة الوطأة على الغرب من النواحي كافة، العقدية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية، والعسكرية، إلا أن الغرب بدأ يعيد حساباته، ويخطط للاحتلال والغزو مرة أخرى، ولكن في هذه المرة يكون بشكل آخر وإستراتيجية مختلفة، حيث لجأ هذا العدو إلى تأسيس مراكز وأكاديميات مختصة بشؤون العالم الإسلامي، وصرف جهودًا جبارة وأموالاً طائلة، لتكون مرافقة مع استعمارها للأمة وبلادها.

لقد درست هذه المراكز حال الأمة الإسلامية عقديًا وجغرافيًا واقتصاديا وعسكريا، وعرفت نقاط الضعف فيها ودرستها دراسة عميقة وواعية، فبدأ الاحتلال العسكري مرة أخرى، من خلال تلك النقاط، وكان احتلالاً عسكريًا وفكريا في آن واحد، وبعد أن تمركزت قوتهم في العالم الإسلامي، بدأ الاحتلال الفكري أو الغزو الفكري لعقول أبناء الأمة ونفوسها، وذلك بإظهار تفوقهم العلمي والتقني، وتخلف المسلمين في ذلك، وكذا بث روح الضعف والوهن في نفوسهم؛ لقتل روح المقاومة والتمسك بدينهم، وإظهار هذا الدين بصورة مشوهة غير صحيحة، مما كان له أثره الخطير في الأمة، فقد تأثر جمع غفير من أبنائها بهذه الوسائل، وقد ساعدهم على ذلك حصولهم على الثروات العلمية الإسلامية في البلاد المستعمرة، وتمكنهم من دراسة علومها في اللغة والأدب والدين والفقه والسيرة، واستطاعوا أن يخرجوا من بطون هذه الكتب نماذج من الأدب الوضيع والفكر المنحرف والعقيدة الفاسدة كالتصوف، والتركيز عليها وتوصيلها إلى المثقفين والدارسين من أبناء الأمة على أنها الإسلام، فكان وسيلة قوية لتلك الدول على الاحتلال العسكري والبقاء لفترات أطول في ديار المسلمين، والاستيلاء على ثرواتهم وتسخيرها في مصالحهم المعيشية والتقنية والعسكرية هذا بالإضافة إلى الدور الذي قام به هؤلاء المستشرقون في إفشاء روح الإقليمية والعنصرية بين المسلمين والتركيز على إثارة الفتن القومية بين الشعوب، كافتخار العربي بالعروبة والتركي بالتركية والمصري بالفرعونية، والكردي بالكردية، والفارسي بالفارسية وهكذا، فكان كل ذلك معول هدم وخراب، لذلك البنا المتين الذي أرسى قواعده الرسول – ﷺ – والصحابة رضوان الله عليهم، والعمالقة من أبناء الإسلام على مرّ العصور والأزمان، رغم أن الدين الإسلامي جاء وأزال كل هذه التصورات التي عدّها صفات جاهلية لا تتناسب مع الرسالة الربانية[1].

---

(1) الاستشراق /د.فالح الصغير .

(2) جند الله ثقافة وأخلاقا الشيخ سعيد حوى.

(2) الخطاب الديني.

(4) مقال من منبر التوحيد.

(5) دراسة مؤسسة راند بعنوان القضاء على المجموعات الإرهابية

تمزيق الأمة الإسلامية "سايكس بيكو"

لقد كان من أهم نتائج الحروب الصليبية ضد المسلمين هو سقوط خيمة الخلافة العثمانية فيما يسمى بالحرب العالمية الأولى والاستيلاء المباشر على بلاد المسلمين وتمزق الأمة الواحدة إلى دول ودويلات وعصبيات وقوميات طبقاً لاتفاقية "سايكس بيكو" المشؤومة وأصبح الوطن الواحد الذي سماه الفقهاء "دار الإسلام" دوراً وأوطاناً تتنازع فيما بينها على الحدود التي صنعها لهم المستعمر الغاصب وقد راعى المستعمرون خلال مرحلة الاستعمار وقبل الجلاء أن يجعلوا في كل قطر جيوب مشاكل سياسية تستنفذ طاقة القطر من جهة وتؤثر على سير الإسلام من جهة أخرى، مشاكل حدود ومشاكل جوار، مناطق وضعها الطبيعي أن تكون لأقطار وضعت بيد أقطار أخرى، أقليات يوضع في يدها الحكم، تقوية الاتجاهات الممزقة لوحدة المسلمين، كما روعي في عملية التمزيق وإقامة الحدود أن يعمق في العالم الإسلامي الصراع بين الأقطار المتجاورة، والتفكير العازل بين هذه الأقطار مع ملاحظة عدم إعطاء الآمال الشعبية محتوياتها وآمادها، صنعوا دولاً ليس لها مقومات الحياة المستقلة وجعلوا بين الكيانات عقداً وأطلقوا قضية المصلحة من عقالها وعملوا على إيجاد الأنظمة المختلفة المتجاورة نظام رأس مالي بجانبه نظام اشتراكي ونظام ملكي بجانبه نظام جمهوري وأقاموا أنفسهم في وضعٍ يكونون فيه حراساً وحكاماً ووسطاء وأوصياء واستطاعوا أن يطوقوا الأقطار الإسلامية بعدة أنواع من الأطواق(2).

(2) جند الله ثقافة وأخلاقا الشيخ سعيد حوى.

الأنظمة وليدة الاستعمار

لقد تمكن دعاة القومية من البروز إبان الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية في تشجيع واضح من قبل المستعمرين الذين قرروا على أن يكونوا هؤلاء القوميون هم البديل عنهم في إدارة المجتمعات المسلمة فقد استطاع الغرب من اصطناع طبقة رباها في حضانته وأرضعها من ألبان ثقافته وهيأها لحكم الشعوب المسلمة كما يريد؟؟ ووسع الفجوات الاجتماعية بين ذوي الثراء الفاحش والفقر المدقع وعمم الفلسفة العلمانية الدخيلة التي عزلت الدين عن الحياة وتبنت فكرة الوطنية الإقليمية أو فكرة القومية العنصرية بين شعوب المسلمين حتى تغيب فكرة الأمة الواحدة التي أرادها الله وهكذا ما أن همت دول الاستعمار بالجلاء حتى اطمأنت على زرعها المتمثل في الأنظمة الحاكمة والتي أخذت في تطبيق ما تعلمته في مدارس المستعمرين الأسياد وغدا القانون الوضعي الذي جاء في ركاب المستعمر هو الذي يحكم الناس رغم أنوفهم بدلاً من الشريعة الإسلامية التي ضلوا يرجعون إليها في الإفتاء والقضاء والتشريع طيلة ثلاثة عشرة قرناً من الزمن وأمسى فكر الغرب الفلسفي والأخلاقي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي هو مصدر التوجيه والتأثير والتحريك ومصدر التخطيط لمجتمعنا المسلم بعد أن كان الإسلام هو الموجه الأول والمؤثر الأول والمحرك الأول في شتى ميادين الحياة ولم يعد هو أساس الهوية والانتماء والولاء لأبناء الأمة كما كان من قبل وغدت تنافسه بل تقاومه هويات وولاءات وانتماءات أخرى،... كل هذا وغيره كان سبباً وباعثاً أساسياً في قيام الحركات الإسلامية والتي من أهم أهدافها استئناف الحياة الإسلامية من جديد وإعادة الخلافة الإسلامية في أبهى صورها وأشكالها وهو ما دعا المستعمر إلى أن يقوم بتشجيع خلفاءه من الحكام العرب على الضرب القاسي ومن غير رحمة لتلك الحركات وتصنيفها مع أعداء الأمة وتقدمها وتطورها وقد بدا واضحاً منذ أيام الاستقلال الأولى هذا التوجه وقد ازدادت ممارسات القوميون ضد الحركات الإسلامية حتى أنها اقتلعتها من جذورها من بعض البلدان.

الحركات الإسلامية القادم الجديد

لم يكن استخدام تلك القسوة المفرطة ضد الحركات الإسلامية في صالح الغرب أو الأنظمة الحاكمة إذ أنها لفتت أنظار الشعوب المسلمة إلى تلك الحركات وما ترفعه من شعارات ومبادئ كان لها أكبر الأثر في استقطاب الكثير من الشباب المسلم والذي تبقى لديه جزء من رصيد الفطرة وإن حاول المستعمر وخلفاؤه من الحكام الخونة تحطيم ذلك كله، فإن ما أقض مضاجع الصليبيين وأصابهم بالدهشة هو انبعاث إسلامي كبير تقوده تلك الحركات الإسلامية بخطاب ديني هادف كادت أن تذهب معه جهودهم سدى فحينما أرادوا أن يحصروا هذا الدين في زوايا المساجد وأركان البيوت الضيقة إذا بهذا الدين يتفجر من داخل المساجد شلالات من الحياة والروح الوثابة وإذا به يشع بنوره الوضاء ليخترق الجدران المظلمة ممتداً سامقاً وإذا بهذا الجيل الحائر المرتبك يقف على قدميه ويتجه نحو المساجد وفي حلقات العلم وظهرت في سماء الأمة كوكبة من العلماء أضاءت لها الطريق لتخرجها من الظلمات إلى النور، ولم يتوقف دور هذه الجماعات عند هذا الحد وإنما الذي راع الغرب حقيقة هو مخرجات هذه الجماعات والحركات الإسلامية حين تسابق أبطالها إلى الموت في سبيل الله فتحطم على صخرة صمودهم اعتي قوة في العصر الحديث – اعني الإتحاد السوفيتي – وقدموا دروسا في الفداء والتضحية سيظل يكتب عنها التاريخ بمداد من نور لتأتي أحداث الحادي عشر من سبتمبر لتكون القشة التي قصمت ظهر البعير ولتكون سببا في مسارعة الغرب لمحاولة احتواء الجماعات الإسلامية لما لها من ثقل شعبي من جانب ولتساهم في تخدير الأمة الثائرة وخصوصا شريحة الشباب التي بدأت تتوق لأعمال مشابهة لما حدث في سبتمبر، من جانب آخر فقد أظهرت تلك الأحداث مدى الاصطفاف الشعبي الكبير مع تنظيم القاعدة العدو التقليدي للغرب خصوصاً الولايات المتحدة وأظهرت في نفس الوقت فشل الأنظمة العربية وضعفها وهي التي كان يراهن عليها الغرب كثيراً في تغريب وعلمنة المجتمعات المسلمة، فقد فقدت الحكومات العربية رصيدها عند شعوبها لاسيما فيما يتعلق بطموحات الحلول الاقتصادية وآمال استعادة الحق

والمقدسات وقد زاد من يأس تلك الشعوب وقنوطها تلك المواقف الباردة من التدخلات الغربية السافرة في شؤون تلك البلدان سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وإفلاس تلك الأنظمة سياسياً بعد أن تحولت إلى دكتاتوريات شخصية أو عائلية أو طائفية تحاول إعادة الأحكام الوراثية الملكية في البلدان التقدمية الجمهورية مما ترك فراغاً هائلاً في الشارع السياسي هذا الفراغ استطاع الخطاب الدين للحركات الإسلامية أن يملأه تارةً واضحاً صريحاً وتارةً بالإشارة والتلميح وقد راع المراقبين الغربيين أن يتحول هذا الخطاب لهذه الحركات الإسلامية ولو على المدى البعيد إلى شرارات لثورة شاملة تطيح ببعض النظم المزروعة لحفظ مصالحها، وقد عرف الغربيون أن التهمة بين الشعوب وبين حكوماتها محكمة قوية وإن أول ما يتهم في هذا العجز والشلل الحكومي وكل مشكلات الشعوب والارتقاء إلى طموحاتها وآمالها إنما هو الغرب، فما كان من القادة الغربيين إلا الإسراع في العمل على توجيه الخطاب الديني والإعلامي لتلك الحركات الإسلامية وتحديثه مما يكفل عدم الإخلال بمنظومة مصالحهم في المنطقة بل وإذا أمكن أن يكون عاملاً مساعداً على تخدير الشعوب أو الإبطاء من حركة استيائها والتخفيف من شدة غليانها [3].

(2) الخطاب الديني.

الإسلاميين والغرب ومحاولة الاحتواء

لقد عرف الغربيون ما للحركات الإسلامية من تأثير على الشعوب المسلمة وهالهم مدى تغلغل الإسلام في وجدان المسلمين على رغم ما بذلوه من جهود جبارة لعلمنة تلك المجتمعات وهالهم أيضاً فشل الأنظمة الحاكمة في فرض العلمانية بعد أن تحولت إلى ديكتاتوريات همها الأول الاستمرار في الحكم والاستئثار بمقدرات الشعوب أمام هذه المعطيات لم يكن أمام صنّاع السياسة الغربيين إلا اعتماد صيغة تضمن بها اختراق تلك الحركات الإسلامية ولو فكرياً في أقل الأحوال ومن ثم إحلالها بديلا لتلك الأنظمة الديكتاتورية المتهالكة. والتي أصبحت عبئا على الغرب نفسه وقد بدأت الإدارة الأمريكية تخطو خطوات جدية وعملية بصدد اعتماد احتواء ما يسمى بالجماعات الإسلامية، وإحلالها كمرحلة انتقالية ضمن عملية ديمقراطية تشوب صدقتيها كثير من علامات الاستفهام، بغية صناعة استقرار يتناسب مع مصالحها في المنطقة، تأتي هذه الخطوة بعد أن ثبت فشل سياسة الاعتماد على القوة العسكرية المهولة للولايات المتحدة في إرساء مشاريعها(4)، ويهدف الغرب من إحلال تلك الجماعات بديلاً للأنظمة لكونها خير من ينفذ الأجندة والمخططات الغربية من جهة، وأفضل من يقوم بمحاربة المد الجهادي المتنامي من جهة أخرى، ذلك لأنها تتمتع بغطاء شرعي وشعبي، أما غطاءها الشرعي فلكونها ت تنتسب إلى الإسلام مع وجود من ينتسب إلى العلم في صفوفها، وبهذا خدعت الأمة وأقنعتها بأن انجرافها هذا خلف التوجهات الغربية أمر مسموح به في الإسلام وجزء من الشريعة، وأما غطاؤها الشعبي؛ فلوجود عدد لا بأس به من الأنصار والمؤيدين، المتأثرين أصلاً بالأفكار والشعارات الجذابة التي ترفعها تلك الجماعات، والتي لا تزال تقتات عليها وتعوّل عليها في الاستقطاب الجماهيري، برغم عدم تبنيها لتلك الأفكار في الواقع العملي، و لهذا فقد حددت مؤسسة راند في دراسة خاصة صدرت في أيلول سبتمبر 2008م بعنوان "القضاء على المجموعات الإرهابية" الأصناف التي يجب دعمها في إشارة إلى من

(4) مقال من منبر التوحيد.

أسمتهم بالشيوخ المعتدلين والحكماء المتعاونين وهو حديث ينطبق على غيرهم من التنظيمات والأحزاب حيث قالت "من الممكن تقديم الدعم المادي لهؤلاء بطرق غير مباشرة لحماية شرعيتهم ومصداقيتهم الشعبية. وأضافت يمكن على سبيل المثال تخصيص التمويل للأجهزة الإعلامية أو الأحزاب السياسية أو النوادي الطلابية أو الاتحادات العمالية أو أي طرف يتمتع بالميزتين التاليين:

1) أن يتمتع بقاعدة شعبية لا بأس بها في المجتمع.

2) وأن يكون رافضاً لفكرة الإرهاب ولعمل المتمردين وأيديولوجيتهم المتطرفة"[5].

ومن هنا بدأ خيار الغرب للتعاون مع الإخوان والتفاهم معهم على ترتيبات المرحلة المقبلة والموضوع ليس عجيباً ولا غريباً كما قد يبدو لدى البعض، بل إنه من الناحية الإستراتيجية البحتة فإن خيار تعاون الأمريكيين مع الإخوان أو على الأخص مع التيارات المتطورة عنهم قد يكون هو الخيار الأنسب والأكثر معقولية بالنسبة للأهداف الأمريكية في المنطقة من جهات كثيرة فما تستهدفه البرجماتية الأمريكية هو وجود نمط من الحكم يتوافق مع أهدافها، ويكون له قبول جماهيري يحقق الديمقراطية المدَّعاة، فمن الناحية الفلسفية البحتة فإن الدين (أي دين؟) يكون مقبولاً لدى البرجماتية الأمريكية بقدر ما يحققه من مصالح، ونظراً لارتباط جماهير أمتنا بالإسلام فإن استعداد أمريكا للتعاون يكون مهيأ مع أكثر التيارات قدرة على تطويع المفاهيم الإسلامية للتوافق مع المصالح الأمريكية، دون أن تفقد مع ذلك شعبيتها الجماهيرية، ومراجعة بسيطة للتيارات الإسلامية الفاعلة، يتكشف لنا أن الإخوان المسلمين هم أكثر التيارات المرشحة لذلك، حيث غدت الكثير من الأطروحات الغربية كالديمقراطية، ومبدأ تداول السلطة، والمجتمع المدني، بفضل الاجتهادات الإخوانية أطروحات إسلامية، [6] والناظر بأدنى تأمل إلى تلك الجماعات الإسلامية وعلى

(5) دراسة مؤسسة راند بعنوان القضاء على المجموعات الإرهابية.

(6) دراسة بعنوان: "هل يتبنى الغرب الإخوان بديلاً لبعض الأنظمة العربية.

لـ مُحَمَّد إبراهيم مبروك باحث إسلامي محسوب على "حزب العمل" وله كتابات في الرد على التيارات العلمانية، وقد نشر دراسته هذه في مجلة المحايد.

رأسهم الإخوان المسلمين لاسيما بعد أحداث سبتمبر يرى بان دورها لم يقتصر على القيام بهذا الدور المشبوه في تغريب المجتمع المسلم وإضفاء صبغة الشرعية الدينية على أجندة المشروع الغربي التغريبي للأمة كالديمقراطية والتعددية وحقوق المرأة والحرية المنفلتة للرأي والأديان بل وصل الأمر بتلك الجماعات إلى أن تقوم بإضفاء الشرعية على المحتل الكافر لديار الإسلام بمشاركتها جنبا إلى جنب مع المحتل الصليبي في احتلال ديار الإسلام وهتك حرمات المسلمين بعد أن خدرت الأمة الإسلامية عما يحاك لها وخذلتها عن الجهاد المفروض عليها، مما يعني تتطور العلاقة بين تلك الجماعات الإسلامية والغرب، وكل ذلك على حساب دين الأمة وعقيدتها وهو ما يجعلها تناقض إدعاءاتها السابقة في مواجهتها للمشروع الغربي وذودها عن حياض الأمة الجريحة وتحملها الكثير من الأذى في سبيل ذلك، والمصيبة الكبرى إن يحدث كل هذا تحت مسمى الوسطية والاعتدال، ولو أعدنا النظر لوجدنا أن كل ذلك ما هو في الحقيقة إلا سعيا وراء الحصول على مواصفات الاعتدال الأمريكية واستجابة للغرب الضاغط في هذا الاتجاه حيث برز الاهتمام الغربي المتزايد بعد إحداث أيلول سبتمبر بالإسلاميين أكثر من أي وقت مضى ربما لإحلالهم بديلا للأنظمة التي بدأت تفقد سيطرتها على الشعوب، والتي لم يعد بمقدورها مواجهة من تسميهم أمريكا بالإرهابيين ما جعل أمريكا تفكر في إيجاد بدائل أخرى ومن هذه البدائل الإخوان المسلمين ففي دراسة أخرى غاية في الأهمية أصدرتها مؤسسة راند للأبحاث بعنوان "الإسلام الديمقراطي المدني"[(7)] أوصت فيها الإدارة الأمريكية بالتمييز بين أربعة تيارات إسلامية كان أهمها "الإسلام المعتدل" وتقوم فكرة الدراسة على مفهوم جديد بدأ بتداوله عدد من السياسيين الأمريكان وهو «بناء الدين» Building Religion، وتستند إلى تقسيم ساذج للتيارات السياسية الإسلامية إلى أربعة تيارات: تقليديين، أصوليين، حداثيين (إسلاميين)، علمانيين. ويقوم الدور الأمريكي المطلوب في البحث عن الشريك الإسلامي

(7) تنبع أهمية هذه الدراسة من إن المؤسسة التي أصدرتها هي مؤسسة راند التي تعد إحدى أهم خزانات التفكير المؤثرة في عملية صنع القرار في الولايات المتحدة كما إن مؤسسة سميث ريتشارد سون التي دعمت إصدار هذه الدراسة هي إحدى المؤسسات الأمريكية التي تدعم الأبحاث الجادة التي تخدم رسم السياسات الأمريكية العامة.

وهو وفقاً للكاتبة[8] «الإسلام الحداثي»، لكن هذا لا يمنع من مساهمة الولايات المتحدة في دعم التقليديين والعلمانيين بما يخدم أهدافها ومصالحها، فلا بد من تقوية التقليديين للوقوف في مواجهة الأصوليين، والعلمانيين للتأكيد على فكرة الفصل بين الدين والدولة.

ويدلي الأستاذ طارق ديلواني بحديث صريح حول ما سبق وهو يجيب على سؤال مفاده: هل ثمة تقارب بين أمريكا والإسلاميين؟ فيقول:

"سؤال بات مطروحاً بقوة بين مناصري، ومؤيدي الحركات الإسلامية وتحديداً جماعة الإخوان المسلمين وقاعدتها الجماهيرية العريضة. ومن الضروري أن يمتلك الإسلاميون إجابة واضحة... ربما كان هذا سؤال اللحظة الذي فرضه تجاوز الحديث الأمريكي حدود التلميح إلى التصريح بأنه لا ممانعة أمريكية من وصول الإسلاميين للسلطة، وهو ما يستدعي البحث عما إذا كان هذا تحولا حقيقيا في الموقف الأمريكي من الإسلاميين؟ أم أنها فزاعة للتهديد في إطار الضغوط المتصاعدة على الأنظمة الحاكمة؟

وأتصور أن أولى خطوات محاولة الإجابة على السؤال تبدأ بضرورة مراجعة الرؤية التقليدية التي تستبد بنا حين نتحدث عن أمريكا والإسلاميين باعتبار أن العداء والكراهية هو سيد الموقف، في حين أن أموراً تغيرت، ومياها جرت في نهر العلاقات بين «الشيطان الأكبر» و «الخطر الأخضر[9]» نقول أن الحال لم يعد كما كان.

ولفهم وقائع ما جرى في نظرة الأمريكان للإسلاميين لابد من التوقف عند أحداث 11 سبتمبر؛ فقد أثار الحدث هزة عنيفة في المجتمع الأمريكي تجاوزت الغضب على الإسلام والمسلمين إلى الدعوة لإعادة النظر في السياسة الأمريكية تجاه العالم الإسلامي التي

---

(8) شيريل بينارد وهي متزوجة من «زلماي خليل زاده» الذي كان يشغل منصب المساعد الخاص للرئيس بوش، وكبير مستشاري الأمن القومي المسؤول عن الخليج العربي وجنوب شرق آسيا، وقد عين سفيراً للولايات المتحدة لدى العراق، ويعتبر زاده الأمريكي من أصل أفغاني الوحيد الذي ينتمي إلى المحافظين الجدد ويعرف بآرائه المتطرفة.

(9) الشيطان الأكبر اسم تم إطلاقه من قبل كثير من المفكرين على أمريكا بينما اصطلح عدد من الكتاب والمفكرين والساسة الغربيين على تسمية الحركات الإسلامية بالخطر الأخضر .

باتت ترى أن ديكتاتورية بعض الأنظمة العربية هي التي أفرزت العداء لأمريكا باعتبارها راعية لهذه الأنظمة.

على أن النظرة الأمريكية للحوار مع الإسلاميين معنية فقط بالإسلاميين «المعتدلين» المتبعين لأسلوب العمل السلمي دون غيرهم، وهنا ينبغي الحديث عن عدة نماذج إسلامية مقبولة لأمريكا لا تتعدى حدود النموذج الإخواني وإسلاميي تركيا تحديداً.

ثمة تجارب إسلامية مشجعة إذا بالنسبة للأمريكيين ومنها تجربة حزب العدالة والتنمية في تركيا كما أسلفنا، وسجل العمل السلمي للإخوان المسلمين في مصر والأردن واليمن والمغرب وغيرها من الدول العربية.

إلا أنه لا يمكننا أن نحصر النماذج التي ستعتمد أمريكا الحوار معها، ويمكن القول أن أي تيار إسلامي يتمتع بالعقلانية والانفتاح على الحكومات والشعوب سيكون مرشحاً للحوار مع الأمريكيين.

ومن المهم الإشارة لتصريحات مسؤولي الإدارة الأمريكية في هذا الصدد، فهي تصريحات توضح حقيقة الرغبة الأمريكية الجامحة للشروع في حوار وتقارب مع الإسلاميين. تصريحات مسئولي الإدارة الأمريكية وعلى رأسهم وزيرة الخارجية «كونداليزا رايس» التي تكشف عن اقتناع الولايات المتحدة بأهمية التحاور مع الإسلاميين في المنطقة العربية، وأنها لا تخشى من وصول تيارات إسلامية إلى السلطة هي أكثر هذه التصريحات إثارة للجدل.

فهي تشير بوضوح إلى أن بوش الذي تركزت سياسته في السابق على معاداة واستهداف الحركات الإسلامية تحول الآن إلى التقارب مع الإسلاميين. ولم تكن رايس وحدها التي صرحت بهذا، فقد قال ريتشارد هاس مدير إدارة التخطيط السياسي بالوزارة نفسها إن الولايات المتحدة لا تخشى وصول تيارات إسلامية إلى السلطة لتحل محل الأنظمة القمعية العربية التي «تتسبب بتكميمها الأفواه في اندلاع أعمال الإرهاب»، شريطة أن تصل عن طريق ديمقراطي وأن تتبنى الديمقراطية كوسيلة للحكم"[10].

(10) طارق ديلواني.

والعدو الكافر لم يلجأ إلى مثل هذه الأساليب إلا عندما رأى نفسه لا يستطيع تنفيذ مخططاته، وأهدافه إلا باستخدام بعض الإسلاميين الذين يسميهم بالمعتدلين. أما من يعلنون كراهية الكافرين، والبراءة منهم، وتحريض الأمة على جهاد المحاربين الغزاة منهم، فهؤلاء شوكة في حلوق الكافرين وهم الذين يحشد الكفار لحربهم والقضاء عليهم (زعموا). وقد عرفوا عند الكفار بالأصوليين السلفيين أو الوهابيين المتطرفين.

وقد بدأت أمريكا مع المعتدلين بزعمهم و على رأسهم الإخوان المسلمين منهم بخطابات (غزل) بين الطرفين – يؤكد هذا الترحيب الحار من قبل حزب الإصلاح بالدعوة التي أطلقها الغربيين للحوار مع من يصفونهم بالإسلاميين المعتدلين –كما سأنقل بعد قليل – والمؤلم حقا أن يأتي هذا الترحيب الإصلاحي والإخواني عموما بهذه الدعوة في الوقت الذي تدك فيه الآليات العسكرية الغربية بلاد المسلمين.

ومع الاحداث المسارعة والضربات الموجعة التي تلقتها الغربيين من التيار الجهادي الذي تسميه المتطرف لم تكتفي من هؤلاء المعتدلين بالحوار فقط وانما سلمتهم السلطة كاجراء تكتيكي مرحلي للحيلولة وقطع الطريق أمام المتطرفين. دولة العراق الإسلامية نموذجا... ومن الجدير بالملاحظة أنه في عام (2001م) أُطلقت مجموعة من الخطابات السياسية حول الإسلام الذي يريده الغربيون؛ (فقد شرح رئيس الوزراء البريطاني المقصود بهذا في خطاب موجه للزعماء والمسئولين بالدول الإسلامية، دعاهم فيه إلى أن يعملوا جاهدين على أن يهيمن الإسلام (العادي أو الرئيسي) استخدم لفظ (main stream) بحيث يخضع له جميع المسلمين في شتى أنحاء العالم، والفكرة نفسها عبر عنها وزير الخارجية الأمريكي "كولن باول" في شهر نوفمبر (2001م) في خطاب ألقاه بجامعة لويسفيل بولاية كنتاكي، حيث أشار إلى تبلور رؤية أمريكية للمجتمعات الإسلامية تقوم على أساس من قيم معينة تمس التكوين الثقافي والسياسي والعقدي لتلك المجتمعات.

وقد وضحت مؤسسة راند في تقريرها السابق رؤيتها للفروقات والتباينات بين الفئات والجماعات الإسلامية المختلفة في العالمين العربي والإسلامي، وسوف نورد منه بعض

الفقرات التي تبين مدى اهتمام الغرب بما يسمونه بالإسلام التقليدي الذي يريدونه، فإن التقرير يقول:

"ومن الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية بل العالم الصناعي المتمدن بأسره يفضلون عالماً إسلامياً يتماشى مع بقية النظام؛ أي يريدون عالماً إسلامياً يتسم بالديمقراطية، بالقابلية للنمو، بالاستقرار السياسي، بالتقدم الاجتماعي، بالتبعية لقوانين ومعايير السلوك الدولي. هذا بالإضافة إلى أن هذا العالم الإسلامي «المفضل» مُلزَم بالمساهمة في منع أي "صدام للحضارات"، بكل صوره المتاحة والممكنة الممتدة من القلاقل المحلية المتصاعدة بسبب الصراعات بين الأقليات المسلمة والمواطنين (الأصليين) في الغرب؛ إلى العمليات العسكرية المتصاعدة عبر العالم الإسلامي، وما ينتج عنها من إرهاب وعدم استقرار.

ومن ثم فإن من الحكمة والاتزان تشجيع تلك العناصر الموجودة في داخل الخلطة الإسلامية . التي تُظهر أكبر قدر ممكن من التعاطف والانسجام تجاه السلام العالمي، والمجتمع الدولي والديمقراطية والحداثة [11].

ولا شك ان التحديات التي تواجهها أمريكا والغرب عموما بعد أحداث سبتمبر هي التي جعلتهم يفكرون بإيجاد شريك إسلامي يمكنهم الاعتماد علية لرعاية مصالحهم في المنطقة بعد ان ظهرت الحكومات شبه عاجزة عن كبح جماح الشارع الإسلامي الغاضب من الممارسات الخرقاء للولايات المتحدة ووكلائها في المنطقة ولما له – أي الشريك الإسلامي – من قدرة على امتصاص الغضب الشعبي وتطويعه لصالح شركائه؟؟؟.

وعند التمعن في الموضوع، يمكن القول: إنّ «سؤال الشريك الإسلامي» لم يأت من فراغ في هذه الفترة، بل هناك كثير من المؤشرات التي تدل عليه، وأبرزها نموذج حزب العدالة والتنمية التركي، الذي رأى فيه «ريتشارد هاس» (مسؤول التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية) في خطاب مهم له بعنوان: «باتجاه ديمقراطية أكبر في العالم الإسلامي» Toward A Greeter Democracy in The Islamic World

(11) تقرير مؤسسة راند (الإسلام المدني الديمقراطي).

نموذجاً عملياً لقبول الولايات المتحدة بالتعايش مع الأحزاب الإسلامية في ضوء معايير ومحددات معينة، وهناك أيضاً نموذج الحزب الإسلامي في العراق (الذي يشكل جزءاً من التنظيم العالمي لحركة الإخوان المسلمين)، وهناك الحوارات الدائرة بين دوائر غربية وأمريكية وبين حركات إسلامية، وكذلك الأمر هناك تقارير لمؤسسات ومنظمات دولية – غير حكومية – تدعو إلى إدخال الحركات الإسلامية في الترتيبات السياسية الجديدة في المنطقة العربية، وفي مقدمة هذه المنظمات: مجموعة الأزمات الدولية، التي أصدرت عدة تقارير ـ بهذا الخصوص ـ أبرزها تقرير حول مصر يدعو إلى إشراك الإخوان في المرحلة السياسية القادمة، وكذلك تقرير بعنوان «التعامل مع حماس» Dealing with Hamas يدعو إلى محاولة التفاهم مع حماس على ترتيبات المرحلة السياسية القادمة، والانسحاب الإسرائيلي من أراضي عام 1967م، وفق قواعد معينة من الاتفاق يحددها التقرير المذكور.

ومن العوامل المؤثرة ـ في هذا السياق ـ تصاعد قوة وزخم نزعة «معاداة الأمريكية» في العالم أجمعه وفي العالم العربي والإسلامي بشكل خاص، وهو الأمر الذي دفع باتجاه البحث عن مسارات لتحسين العلاقة مع المجتمعات العربية، ولعل أفضل الطرق إلى ذلك وجود شركاء إسلاميين يقبلون بالمصالح الأمريكية في المنطقة، ويشكلون قاعدة اجتماعية تكفل تحسين صورة الولايات المتحدة في العالم العربي، والتأكيد على جدية الولايات المتحدة في المضي قدما بالإصلاحات ومما يعزز هذا التصور، بالإضافة إلى المؤشرات السابقة، أن الإسلاميين ما زالوا يمتلكون الحضور والنفوذ الواسع في المجتمعات العربية والإسلامية، على النقيض من العلمانيين الذين يفتقدون إلى هذه القاعدة، كما أن العلمانيين، حتى وإن اتفقوا مع الولايات المتحدة في كثير من القيم الاجتماعية، إلاّ أنّ جزءاً كبيراً منهم معاد للسياسة الأمريكية [12] وكم دهشت حينما استمعت إلى حوار مع الدكتور نوري المرادي رئيس الحزب الشيوعي العراقي إبان الاحتلال الأمريكي للعراق على قناة الجزيرة وهو يقول "لن يسجل التاريخ عن أي شيوعي عراقي أنه تعاون مع المحتل او دخل مجلس الحكم الذي شكله الاحتلال فنحن لسنا من طوائف الشيعة ولا من الإخوان المسلمين!!" او قريبا من

(12) قراءة في أوراق «الشريك الإسلامي» المطلوب/ مُحَمَّد أبو رمان وهو بحث جدير بالقراءة .

هـذا الكـلام وقـد شـكلت تجربـة حـزب العدالـة والتنميـة التركـي، بعـد أحـداث أيلـول، نموذجـاً لمفهـوم الشـريك الإسـلامي المعتـدل، ويمكـن إجمـال سمـات هـذا النمـوذج بــ: التصـالح مـع الغـرب، القبـول بالمصـالح الأمريكيـة في المنطقـة، الرؤيـة الليبراليـة المحضـة علـى المسـتوى السياسـي والاقتصـادي والثقـافي، بمـا في ذلـك الحـريات السياسـية والاقتصـادية، القبـول بالعمليـة السـلمية، الشراكة مع الولايات المتحدة في محاربة الإرهاب على المستوى السياسي والأمني[13].

وبامـتلاك الإخـوان المسـلمون للمعطيـات السـابقة ومحاولـة تكريسـها عمليـا بـدأ الاهتمـام بهم غربيا.

(13) مُحَمَّد ابو رمان المرجع السابق.

من هو "المعتدل".. أمريكيًّا؟

وقد جاء في التقرير الأخير لمركز راند بعنوان "وصفة أميركية جديدة لبناء شبكات الإسلاميين المعتدلين" نقاط رئيسية يمكن من خلالها تحديد ماهيِّة الإسلاميين المعتدلين (أمريكياً) وهي:

1. القبول بالديمقراطية الغربية التي تعني رفض فكرة الدولة الإسلامية التي يتحكم بها رجال الدين فالمسلم المعتدل يؤمن بأن لا أحد يملك الحديث نيابة عن الله.

2. القبول بالمصادر غير المتعصبة في تشريع القوانين وأن أهم فرق بين المسلمين المعتدلين والمتشددين هو في الموقف من مسألة تطبيق الشريعة فالتفسيرات التقليدية للشريعة لا تتناسب مع المبادئ الديمقراطية ولا تحترم حقوق الإنسان.

3. احترام حقوق النساء والأقليات الدينية: وفي هذا الصدد تشير الدراسة إلى أن المعتدلين عليهم أن يكونوا أكثر قبولاً بالنساء والأقليات المختلفة دينياً، ويرون بأن الأوضاع التمييزية للنساء والأقليات في القرآن يجب إعادة النظر فيها، نظراً لاختلاف الظروف الراهنة عن تلك التي كانت موجودة إبّان العصر النبوي الشريف.

4. نبذ الإرهاب والعنف غير المشروع: وهنا تؤكد الدراسة علي أن الإسلاميين المعتدلين يؤمنون –كما هو الحال في معظم الأديان – بفكرة "الحرب العادلة"، ولكن يجب تحديد الموقف استخدام العنف ومتى يكون مشروعاً أو غير مشروع!".

وذكرت الدراسة جماعة الإخوان المسلمين بالاسم ووصفتها بالتقصير بالاهتمام بهذه الأشياء[14].

فكان رد الجماعة عليها سريعاً بإعلان برنامج لهم والذي يلاحظ عليه أنه ركز على موضوع المرأة والأقليات الدينية واحترام الديمقراطية، وكانت تصريحات قيادة حماس قد

(14) تقرير مؤسسة راند بناء شبكات مسلمة معتدلة.

كرسّت جميع تلك الشروط بلا استثناء، فحدث نوع من تصريحات التوافق والتودد بين الطرفين في مقابل القبول بقيادة حماس لتكون بديلاً عن مجاهدي القاعدة ومن يحمل فكرهم ومنهجهم وتكون شريكة لأعداء الإسلام في حربها للإسلام ولتحمي اليهود بتنازلاتها عن ثوابتها سواءً علمت ذلك أو جهلته!! ويلاحظ بوضوح التطور والطموح في تقارير مؤسسة راند من حين لآخر والأدبيات الأمريكية عموما الصادرة بهذا الخصوص فتقارير "راند" الأخيرة -تقرير 2004- كانت تشجيع إدارة بوش على محاربة "الإسلاميين المتطرفين" عبر: خدمات علمانية (بديلة)، ويدعون لـ"الإسلام المدني"، بمعنى دعم جماعات المجتمع المسلم المدني التي تدافع عن "الاعتدال والحداثة"، وقطع الموارد عن المتطرفين، بمعنى التدخل في عمليتي التمويل وشبكة التمويل، بل وتربية كوادر مسلمة عسكرية علمانية في أمريكا تتفق مصالحها مع مصالح أمريكا للاستعانة بها في أوقات الحاجة.

ولكن في التقرير الحالي "بناء شبكات مسلمة معتدلة"، يبدو أن الهدف يتعلق بتغيير الإسلام نفسه والمسلمين ككل بعدما ظهر لهم في التجارب السابقة أنه لا فارق بين "معتدل" و"متطرف" وأن الجميع يؤمن بجدوى الشريعة في حياة المسلم، والأمر يتطلب "اللعب في الفكر والمعتقد ذاتهما".

من يقرأ التقرير سوف يلحظ بوضوح أنه يخلط بشكل مستمر وشبه متعمد ما بين "الإسلاميين" و"الراديكاليين" و"المتطرفين"، ولكنه يطالب بدعم أو خلق تيار "اعتدال" ليبرالي مسلم جديد أو Moderate and liberal Muslims، ويضع تعريفات محددة لهذا "الاعتدال الأمريكي"، بل وشروط معينة من تنطبق عليه فهو "معتدل" – وفقًا للمفهوم الأمريكي للاعتدال، ومن لا تنطبق عليه فهو متطرف.

والملاحظ ان حزب الإصلاح قد كرس تلك الشروط بلا استثناء هربا من شبح التطرف وتحقيقا لشروط الاعتدال الأمريكية.

الدوافع

لا شك أن هناك دوافع جعلت الولايات المتحدة خاصة والغرب عموماً تسعى إلى محاولة الزج بهذا الإسلام، ومحاولة فرضه على الشعوب المسلمة، ومنها:

1 – مناسبته كمرحلة أولى للوصول إلى النموذج الغربي على المسلمين:

وفي هذا يقول الدكتور مُحَّد يحيى[15]: «إن طرح الإسلام العلماني يهدف إلى إضفاء المشروعية على المذهب الغربي الأب والفلسفة الغربية الأم؛ تمهيداً للإلحاق والدمج النهائي للإسلام في تلك الثقافة».

ويستشهد الدكتور مُحَّد يحيى بترحيب الغرب بنجاح حزب العدالة والتنمية التركي، ويصفه بأنه زائف زيف ترحيب الجزار بالأضحية؛ لأن هذا النجاح هو في نظرهم مقدمة الإخفاق الذي سوف يدفن معه نهائياً كل فكر الإسلام الشامل أو السياسي، أو بالأصح فكرة المشروع الإسلامي كلها؛ ليفسح الطريق أمام المشروع المسخ وهو «العلمانية الإسلامية».

ويؤكد هذا المنحى ما ذكره فوكوياما من أن الحضارة والمعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية والتقاليد الثابتة هي الحلقة الأخيرة والأضعف في مسلسل تحوُّل المجتمعات؛ بمعنى التخلي عن القيم التي تدق جذورها عميقاً.. وسيكون من السذاجة الشديدة الظن بأن الثقافة الأمريكية الشعبية مهما كانت درجة إغرائها ستسود العالم قريباً، والحقيقة أن انتشار «ماكدونالدز» و «هوليود» حول العالم أشعل سخطاً عارماً ضد أسس «العولمة» المنتظرة.

ويضيف فوكوياما: «إن القيم الغربية ليست نتاجاً حضارياً عشوائياً للمسيحية الغربية، لكنها الأفضل عالمياً. والسؤال: هل هناك ثقافات أو مناطق في العالم ستقاوم أو تثبت أنها

(15) أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة والكاتب الإسلامي المعروف و واحد ممن لم يخدعهم بريق الثقافة الغربية على الرغم من عمق اطلاعه عليها وحسن درايته بها.

ممتنعة عن عملية التحديث؟».. ويجيب قائلاً: «الإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة في العالم التي يمكن القول بأن لديها بعض المشاكل الأساسية مع الحداثة».

2 – محاصرة الإسلام الجهادي بعد أحداث 11 سبتمبر:

دلّت أحداث 11 سبتمبر على أن أمريكا بحاجة إلى وجود دولة إسلامية علمانية تكون نموذجاً لكل الدول العربية والإسلامية الأخرى، وهذه برأيها هي الطريقة الأسلم لإبعاد المنطقة العربية عن أجواء أسامة بن لادن. أمريكا الثائرة على كل مسلمي العالم بعد انفجارات سبتمبر؛ أقسمت أن تغير كل ما لا يعجبها في حياة الشعوب وثقافاتها ومعتقداتها، وخاصة تلك التي تفرز إرهابيين يكرهونها، ويرون أنها إمبراطورية استعمارية يحكمها عدد من الجهلة السفّاحين المتعصبين.

والحل: اللعب في الملف الأصلي، فلماذا ننتظر حتى تكبر الكراهية وتصير جبلاً وغضباً هادراً قادراً؟ يقول فرانسيس فوكوياما في حديث لمجلة نيوزويك الأمريكية: "يجب على المسلمين المهتمين بصيغة إسلامية أكثر ليبرالية أن يتوقفوا عن لوم الغرب على أنه يرسم الإسلام بريشة عريضة جداً، وأن يتحركوا لعزل المتطرفين بينهم وتقويض شرعيتهم، وهناك بعض الدلائل على أن ذلك يحصل الآن، فلنلحق به من المنبع ولنجفف المنبع ".

وفي ندوة مؤسسة بروكنجز في 2002/9/5م تحت عنوان"11 سبتمبر بعد عام"؛ قال نائب وزير الدفاع وولفوتيز "أن الحرب ضد الإرهاب هي أوسع نطاقاً عما كان متصوراً عقب أحداث 11 سبتمبر مباشرة، فالصراع الأكبر ضمن الحرب ضد الإرهاب قد تضمنته رسالة الرئيس جورج دبليو بوش عن حالة الاتحاد 2002م؛ وهو البعد الذي لم يلق التوضيح اللازم".

هذا البعد – في رأي نائب وزير الدفاع الأمريكي – يتلخص في أن الحرب الأوسع التي نواجهها هي حرب الأفكار؛ أي الصراع حول الحداثة والفردية والعلمانية والديمقراطية والتنمية الاقتصادية... فمحاصرة الإسلام الجهادي جعل الغرب يعملون بخيار التعاون مع الحركات الإسلامية المعتدلة وعلى رأسهم الإخوان المسلمون ولهذا عملت على التحاور معها ومن ثم إشراكها وقد جاء في تقرير مجموعة الأزمات الدولية (تقرير آذار2005) التي

طالبت بالتوقف عن استعمال مفهوم "الإسلام السياسي" الأمريكي المنبت، والاستعاضة عنه بمفهوم "الإسلام الحركي"، فالعقيدة هي سياسة ودين، وإن كانت واحدة إلا أن التوجهات متعددة، وعلى هذا الأساس يمكن التمييز في إطار الإسلام السني المستهدف في الحوار، بين ثلاث تيارات من بينها جماعة الإخوان المسلمين وفرعها في اليمن — حزب الإصلاح – لذا فإن تسليم أو إشراك الإسلام المعتدل في الحكم، والذي يحظى برضا اجتماعي سيعني أمريكياً: "تحييد خطر المتشددين إلى فترة منظورة ريثما يتم ترتيب أوضاع المنطقة لعقدين أو ثلاثة عقود قادمة وتأجيل الصدام مع الجماهير بهذه الخدعة".

3 – البعد العقدي في الصراع:

وفي دراسة أمريكية في هذا المضمار؛ رصدت عمق النظرة الأيدلوجية الأمريكية تجاه العرب والإسلام بشكل عام و الفلسطينيين بشكل خاص، هي دراسة كاثلين كريستيسون بعنوان «التصورات عن فلسطين وأثرها في سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط». ففي دراستها تلك تثبت كريستيسون أن ما تراكم من نظرة مسبقة وتقليدية إنما هو خليط من الايدولوجيا وعناصر من المسيحية اليهودية تجاه فلسطين والشرق الأوسط، تشكل في نهاية الأمر خلفية صلدة لدى الرأي العام وصناع القرار سواء بسواء في الولايات المتحدة.

4 – تعزيز الأمن القومي الأمريكي:

وصف الباحثان في الاستراتيجيات وليام كريستول و روبرت كيجان، في مقال نشرته دوريتهما «ويكلي ستاندرد» اليمينية المتطرفة، تصريحات كوندوليزا رايس الأخيرة حول استمرار الالتزام الأمريكي بإعادة تشكيل الشرق الأوسط؛ بأنها تعكس صلابة الرؤية الشخصية للرئيس بوش لجعل هذا الالتزام الشرق أوسطي أكثر فعالية؛ إذ يدرك هذا الأخير أن ثمة تقاطعاً بين المثل وبين المصالح الأمريكية على مستوى هذا المشروع، بحيث أن «شرق أوسط» أكثر ديمقراطية من شأنه أن يحسن نوعية الحياة لشعوبه، ويعزز في الوقت نفسه الأمن القومي الأمريكي؟؟؟؟ وقد شكلت تجربة حزب العدالة والتنمية التركي، بعد أحداث أيلول، نموذجاً لمفهوم الشريك الإسلامي المعتدل، ويمكن إجمال سمات هذا النموذج بـ: التصالح مع الغرب، القبول بالمصالح الأمريكية في المنطقة، الرؤية الليبرالية المحضة على

المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي، بما في ذلك الحريات السياسية والاقتصادية، القبول بالعملية السلمية، الشراكة مع الولايات المتحدة في محاربة الإرهاب على المستوى السياسي والأمني.

الإخوان المسلمون بين الماضي والحاضر

وعودا على بدء فقد قرأنا كثيراً وسمعنا أكثر بأن الملك فاروق قد قتل الإمام البنا بإيعاز من الإنجليز وهو ما تؤكده الحقائق التاريخية وأن السبب الذي جعل الشهيد سيد قطب يلتحق بحركة الإخوان إنما هو مظاهر الفرح والاحتفالات الصاخبة في الغرب ابتهاجا بقتل الإمام البنا العدو اللدود للغرب وهو ما أكده الشهيد سيد قطب في كتاباته والتي أشار فيها أيضا إلي دور الغرب في محاربة الإخوان والتنكيل بهم حينما أوعزوا إلى عميلهم جمال عبد الناصر بفعل ذلك[16].

وقد أورد الشيخ سعيد حوى[17] عن كتاب لعبة الأمم كيف إن الغرب يحقدون على الإخوان ويعملون على إجهاض مشروعهم لما له من مخاطر على المصالح الغربية.

والسؤال المطروح بإلحاح هنا كيف نوفق بين محاربة الغرب للإخوان والتنكيل بهم ومحاولة إجهاض مشروعهم سابقا؟ و بين ما نراه اليوم من استعداد من قبل الغرب لإحلال الإخوان بديلا للأنظمة الحاكمة كما فعلوا في العراق وأفغانستان والصومال؟ هل تغيرت سياسة الغرب تجاه المسلمين لاسيما الإخوان المسلمين؟؟ أم أنهم الإخوان الذين تغيروا؟ واني ادعوا قواعد الإخوان وشبابهم لتوجيه هذا السؤال إلى قيادتهم للإجابة عليه!! ولا أظنها ستفعل، أما بالنسبة لي فالجواب الذي أنا منه على يقين هو إن سياسة الغرب تجاه العالم الإسلامي لم تتغير إذ لم نزل نشاهد أثار هذه السياسة الغربية دماء وأشلاء ودمارا وخرابا وسبا للدين وتغريبا للمسلمين وهتكا للأعراض والحرمات واحتلالا للأرض ونهبا للثروة على امتداد رقعة العالم الإسلامي وان الذي تغير في الحقيقة هو نهج وفكر الإخوان المسلمين ولهذا فإننا إذا أردنا إن نعرف معرفة حقيقية كيف جاءت هذه المواقف من الإخوان في

(16) انظر كتاب لماذا أعدموني للشهيد سيد قطب.

(17) جند الله ثقافة وأخلاقا سعيد حوى.

الفترة الأخيرة؟ وكيف يمكن لنا تفسيرها؟ وكيف حدث هذا التغيير؟ فلا بد من دراسة الخلفية الفكرية التي تستند عليها تلك المواقف، ووضعها في سياقها الطبيعي؟

إذ انه لا يمكن بحال أن نوفق بين الجماعة التي حملت على عاتقها من أول وهلة محاربة التوجهات الغربية المناهضة للمشروع الإسلامي، وتقدم ووحدة المسلمين، وقدمت في سبيل ذلك خيرة شبابها وقادتها، وبين الجماعة التي لم تعد تمانع من الانخراط في المشروع الغربي؟ ولم تعد تخفي اعتزازها بالقيم والتوجهات الغربية، كالديمقراطية وحرية الرأي والأديان والمرأة، ثم تدعي بعد ذلك بأنها جماعة واحدة، الاسم نفس الاسم، والنهج نفس النهج، والوسائل نفس الوسائل، على الرغم إن هذا الادعاء لا يمكن إن يصمد أمام البون الشاسع بين الجماعتين والاختلاف الكبير بينهما والتناقض المريع بين نهجيهما، إذا ما جمعتهما مقارنة موضوعية مجردة من الأهواء وحظوظ النفس الأمارة بالسوء حيث إن إخوان اليوم أو الإخوان الجدد لا يستطيعون على الإطلاق إثبات صلتهم بإخوان الأمس، على الأقل من الناحية الفكرية والمنهجية، ولان انتساب إخوان اليوم للإمام البنا انتساب جائر وغير عادل وتشويه متعمد لمسيرة الإمام الشهيد وحركته المباركة ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: 5] فان الذي يلزمنا نحن هنا هو محاولة التفريق بين الجماعتين وسنذكر من باب الإشارة أهم الفروق بينهما ولا يعني بالضرورة إن نذكر جميع الفروق لاسيما في الجانب الفكري والمنهجي فلهذا مقام آخر وإنما مقصدنا في هذا المقام إن يلم القارئ إلمامة سريعة بالخلفية الفكرية التي قامت على ضوئها مواقف الإخوان السياسية والتي تختلف تماما عن الخلفية الفكرية للإمام البنا وحركته المباركة والناظر بأدنى تأمل يدرك هذا جيدا، وليكن فكر الإمام البنا هو الحكم والمرجع، ولمحاولة استقراء هذا الموضوع ووضع النقاط على الحروف ارجوا إن تقرؤوا معي السطور التالية:

الجذور الفكرية لإخوان اليوم أو (الإخوان الجدد)

بعد فشل الحملات الصليبية على البلدان الإسلامية وأسر لويس التاسع في دار بن لقمان في المنصورة وفديته كان هذا الرجل فطنا عاد يحدث قومه ". لن تستطيعوا التغلب على هذه الشعوب وانتم تحملون الصليب هذه الشعوب تهب حين تأتى من قبل دينها" فتعلم الصليبيون الدرس حيث اتضح لديهم بإنه لا يمكن الانتصار المباشر على المسلمين ونشر القيم الغربية فيهم بقوة الحديد والنار وقد برهنت لهم الأحداث بإن ذلك لن يتأتى لهم إلا من خلال المسلمين أنفسهم فما كان منهم إلا إن قاموا باحتواء بعض المسلمين وتربيتهم تربية غربية لا سيما بعض الدعاة والمنتسبين للعلم لما لهم من قداسة وتأثير في المجتمع المسلم ليقوموا بعد ذلك بإضفاء صبغة الشرعية الدينية على الدعوات الغربية الوافدة بعد أن وقفت الأمة سدا منيعا في مواجهتها وعجزت الأنظمة الحاكمة عن نشرها وترويجها في الأمة، ولهذا فقد حرص الغرب على نشر المدارس الأجنبية في بلادنا؛ لإفقادنا هويتنا ومنذ أكثر من ثمانين عامًا، أي في أواخر القرن التاسع عشر نشر الكاتب الفرنسي الشهير مسيو "آيتين لامي" مقالاً خطيرًا في مجلة "العالمين" الفرنسية دعا فيه إلى ما سمَّاه الخطة المثلى لهدم الإسلام فقال ما ترجمته: "إنَّ مقاومة الإسلام بالقوة لا تزيده إلا انتشارًا، فالواسطة الفعَّالة لهدمه وتقويض بنيانه هي تربية بنيه في المدارس المسيحية، وإلقاء بذور الشك في نفوسهم منذ عهد النشأة، فتفسد عقائدهم الإسلامية من حيث لا يشعرون، وإن لم يتنصر منهم أحد فإنهم يصيرون لا مسلمين ولا مسيحيين، وأمثال هؤلاء يكونون بلا ارتياب أضرَّ على الإسلام مما إذا اعتنقوا المسيحية وتظاهروا بها".

ثم قال: "إن طريقة تربية أبناء المسلمين وإن كان لها من التأثير ما بيَّناه، فإن تربية البنات في مدارس الراهبات أدعى لحصولنا على حقيقة القصد ووصولنا إلى نفس الغاية التي وراءها نسعى، بل أقول: إن تربية البنات بهذه الكيفية هي الطريقة الوحيدة للقضاء على الإسلام بيد أهله".

ثم قال: "إن التربية المسيحية أو تربية الراهبات لبنات المسلمين توجِد للإسلام داخل حصنه المنيع عدوة لداء لا يمكن للرجل قهرها؛ لأن المسلمة التي تربيها يد مسيحية تعرف كيف تتغلب على الرجل، ومتى تغلبت هكذا سهل عليها أن تؤثر على إحساس زوجها وعقيدته وتبعده عن الإسلام، وتُربي أولادها على غير دين أبيهم، وفي هذه الحالة نكون قد وصلنا إلى غايتنا من أن تكون المرأة المسلمة نفسها هي هادمة الإسلام..." (18).

لقد أحكم الغربيين أمرهم وعرفوا من أين تؤكل الكتف فقالوا "لن يفل الحديد إلا الحديد ولن يقوى شيء على ثني ذراع هذا الدين إلا الدين نفسه ولن يقدر خطاب مهما علا قدره وعلت خطته وفصح بيانه على مقارعة الخطاب الديني إلا الخطاب الديني نفسه ولن يضاد الفتوى الدينية إلا فتوى مثلها ولن ينافس دعاة الحق والبصيرة إلا دعاة يشبهونهم وليسوا منهم يحاكونهم في منطق اللسان ويخالفونهم في منطق الجنان أشكال ورسوم ليس لها من حقيقة هذا الدين إلا اسمه ولتتشبث أركان العلمانية من جديد ولكن بأصابع لا تتهم ووجوه لا تدان(19)".

وهكذا ظهر تيار فكري لديه الاستعداد التام لإضفاء صبغة الشرعية الدينية على كل دعوه من دعوات الغرب الوافدة المسماة زورا بدعوات الإصلاح والتغيير ولو كان في طياتها الكفر والفسوق والهدم لكل ما هو مقدس وجميل في ديننا وحضارتنا كل ذلك سعيا منهم لإفراغ الإسلام من محتواه والفقه من مضمونه وفحواه وإلهاء للحركة الإسلامية عن مشروعها واستهلاكها في مشاريع وهمية لا حقيقة لها كاستجابة حتمية لمشروع الهيمنة الغربية الجديد المتمثل في إنشاء إسلام صناعي معدل أمريكيا يناسب الذوق الغربي والنظام العالمي الجديد ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52)﴾ [المائدة: 52].

(18) الدكتورة سهيلة زين العابدين حماد الداعية والمفكرة المعروفة من مشاركتها في ملف [معوقات وعوامل نهضة الأمة]. قراءة تحليلية نقدية لنخبة من المفكرين والدعاة [2/1] ذي الحجة 1423هـ.

(19) د،محمد نعيم هاني /الخطاب الديني.

وليتم ذلك باسم التجديد تارة وباسم الوسطية والاعتدال تارة أخرى وليكن القبول في المشاركة السياسية والإيمان بالتعددية الحزبية ومقتضياتهما مدخلاً لما يريده الغرب من تلك التنظيمات الإسلامية ليبرز بعد ذلك مصطلح الإسلام السياسي المعتدل والإسلام.

مدرسة محمد عبده (المدرسة العقلية)[20] وجذور البلاء (1849-1905م)

ولو رجعنا إلى أصل الموضوع ومنشأ المسالة لوجدنا إن اهتمام الغرب بالإسلاميين وتوظيف خطابهم بما يلائم المخططات الغربية والترويج لها لم يكن وليد اللحظة وإنما سبق ذلك بقرون تأتي بداياتها من الأيام الأولى للحروب الصليبية مروراً بدخول نابليون مصر وظهرت بشكل واضح بما فعله الإنجليز بالأزهر وتحديث مناهجه والتأثير على من كان ينطق باسمه حينها مصطفى المراغي والذي كان ينادي بفصل الدين عن الدولة وكان تأثيرهم أكبر على ما كان يسمى "الجامعة الإسلامية" والمدرسة الإصلاحية ورموزها كجمال الدين الأفغاني والشيخ مُحَمَّد عبده مؤسس المدرسة العقلية 1849-1905م حيث كان من أبرز تلاميذ الأفغاني، وشريكه في إنشاء مجلة العروة الوثقى، وكانت له صداقة مع اللورد كرومر والمستر بلنت، ولقد كانت مدرسته - ومنها رشيد رضا - تدعو إلى مهاجمة التقاليد، كما ظهرت لهم فتاوى تعتمد على أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل بغية إظهار الإسلام بمظهر المتقبل لحضارة الغرب، كما دعا الشيخ مُحَمَّد عبده إلى إدخال العلوم العصرية إلى الأزهر لتطويره وتحديثه.

ولهذا: فقد أصبحت مهمة مُحَمَّد عبده بعد أن عاد من المنفى -كما يقول الدكتور مُحَمَّد مُحَمَّد حسين-: "التقريب بين الإسلام وبين الحضارة الغربية، واتخذ اتجاهه هذا أشكالاً مختلفة؛ فظهر أحياناً في صورة مقالات أو مشاريع أو برامج تدعو إلى إدخال العلوم العصرية في الجامع الأزهر. وظهر تارة أخرى في صورة تفسير لنصوص الدين من قرآن أو حديث يخالف ما جرى عليه السلف في تفسيرها، ليقرب بها أقصى ما تحتمله، بل إلى

(20) المدرسة العقلية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي العاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلا جديدا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، ومع انفجار المعلومات والاكتشافات الصناعية الهائلة في هذا العصر، وتتفاوت رموز تلك المدرسة تفاوتا كبيرا في موقفها من النص الشرعي، ولكنها تشترك في الإسراف في تأويل النصوص، سواء كانت نصوص العقيدة، أو نصوص الأحكام، أو الأخبار المحضة، وفي رد ما يستعصي من تلك النصوص على التأويل.

أكثر مما تحتمله في بعض الأحيان من قُرب لقيم الغرب وتفكيره؛ لكي يصل آخر الأمر إلى أن الإسلام يساير حضارة الغرب، ويتفق مع أساليب تفكيره ومذاهبه".

يقول اللورد كرومر في تقريره السنوي إلى الحكومة البريطانية عام 1905م: "إن معرفته بالشريعة الإسلامية ـ أي محمد عبده ـ وآراءه الحرة المستنيرة تجعل التعامل معه عظيم الجدوى، إنه وتلاميذ مدرسته لخليقون بأن يقدم لهم كل عون ورعاية ودعم نظراً لما يقومون به من ردم للهوة الفاصلة بين الإسلام والغرب، إنهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوربي".

ويمكن تحديد ما تجتمع عليه آراء تلك المدرسة في كلمة واحدة هي "التطوير" أو العصرانية كما تترجم عن الإنجليزية Modernism وما تعنيه من تناول أصول الشريعة وفروعها بالتعديل والتغيير، تبعاً للمناهج العقلية التي اصطنعها الغرب حديثاً، أو ما تُمليه عقليات أرباب ذلك المذهب، التي تتلمذت لتلك المناهج.. ولا يسلم من هذا التطوير أمر من أمور الشريعة كأصول الفقه والحديث أو التفسير أو مسائل الفقه كالحجاب والطلاق أو تعدد الزوجات، والحدود أو الطامة التي عرفت بالتقارب بين الأديان.

وهي كذلك إحياء للمنهج الاعتزالي في تناول الشريعة، وتحكيم العقل فيما لا يحتكم فيه إليه "وقد يكون أخطر آثار محمد عبده التي تعد ركيزة من ركائز العلمانية في العالم الإسلامي: إضعاف مفهوم "الولاء والبراء"، و"دار الحرب ودار الإسلام"؛ إذ كان الشيخ أعظم من اجترأ عليه من المنتسبين للعلماء، لا بتعاونه مع الحكومة الإنجليزية الكافرة فحسب، ولكن بدعوته الصريحة إلى موالاة الإنجليز وغيرهم – بحجة إن التعاون مع الكافر ليس محرماً من كل وجه– وبدعوته إلى التقريب بين الأديان[21].

وقد تجاوز تعاونه مع الإنجليز المحتلين لمصر إلى التعاون مع الجواسيس المستشرقين في انكلترا نفسها، حيث تتضح ثقتهم المطلقة به، وتعاونه البعيد معهم في الرسالتين المبعوثتين إلى "المستر بلنت" جواباً على سؤال الأخير عن رأي المفتي في الحالة السياسية الجديدة في مصر، وعن رأيه في الدستور المناسب لمصر. وقد أورد محمد رشيد رضا نص الرسالتين في

(21) العلمانية /سفر الحوالي.

الجزء الأول من تاريخه ص 899 - 902 وورد في الرسالة الثانية الفقرة الثالثة قوله "إذا فرض إن كان بعض الوزراء من الانكليز وكان لهم مرؤوسون من المصريين فإنه ينبغي أن يعطى هؤلاء المرؤوسون المصريون أو الوزراء الثانويون سلطة تسمح لهم بأن يفصلوا في جميع المسائل المختصة بالدين وما أشبه ذلك تحت مراقبة الوزراء الأصليين بحيث لا يكون الموظفون المصريون مجرد ألعوبة في أيديهم كما هو الحال الآن" وهذا هو رأي الشيخ الذي نعت بمصلح العصر[22].

والحقيقة أن العقلانيين المعاصرين ما هم إلا امتداد للمذهب الذي ظهر في أوروبا وأشرنا إليه، فالشيخ مُحَمَّد عبده – وهو رأس هذه المدرسة – يعتبر تلميذ الفلسفة الوضعية، الذي وضعها الفيلسوف الفرنسي المعروف أوجست كولد والذي يقرر فيها أن العالم الإنساني تطور إلى ثلاث مراحل: مرحلة السحر، ثم مرحلة الدين، ثم مرحلة العلم، فجاء الشيخ ليوفق بين هذا الكلام، وبين ما يعتقده من دينه، فقال: إنه الآن وفي هذه المرحلة الجديدة يجب أن نحدث في الإسلام إصلاحاً، ونجرده من كل ما يتنافى مع هذه المرحلة ويقصد بها: مرحلة العلم، ومن هنا أنكر الطير الأبابيل، وأنكر الشياطين أو الجن وغيرها.

ويقول الدكتور مُحَمَّد مُحَمَّد حسين رحمه الله متحدثاً عن رأسي العصرانية في هذا الزمان: الأفغاني وعبده، وهو حديث ينطبق على مدرستهما: "كان من وراء الأفغاني ومُحَمَّد عبده كليهما قوتان كبيرتان تعملان على ترويج آرائهما، وإعلاء ذكرهما، وهما: الماسونية –قمة الأجهزة الصهيونية السرية– والاستعمار. وقد نجحت هاتان القوتان في تدعيم زعامتهما الفكرية والدينية في المجتمع الإسلامي كله، وفي إضعاف أثر أعدائهما الكثيري العدد من علماء الإسلام المعاصرين، وحجب ما كتبوه عن جمهور القراء، فلم يمض على موت مُحَمَّد عبده أكثر من ربع قرن حتى أصبح الأزهر –موطن المعارضة الأصيل لمحمد عبده وللأفغاني– عامراً بأنصارهما الذين يحملون لواء الدعوة إلى (التجديد) وإلى (العصرية)".

(22) الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم /غازي التوبة .

يقول الدكتور مُحَّد مُحَّد حسين رحمه الله: "وقد ظل أصدقاء مُحَّد عبده وأنصار دعوته يكثرون بما يلقون من تشجيع الإنكليز، الذين كانوا يمكنون لهم في إدارات الحكومة وفي مناصب الدولة الكبرى".

ويقول اللورد كرومر: "إنني قدمت لمحمد عبده كل تنشيط استطعته مدة سنين كثيرة، ولكنه عمل شاق، فضلاً عن العداء الشديد الذي كان يلاقيه من المسلمين المحافظين، كان لسوء الحظ على خلاف كبير مع الخديو، ولم يتمكن من البقاء في منصب الإفتاء، لولا أن الإنكليز أيدوه بقوة".

وبعد وفاة مُحَّد عبده استمر الدعم لتلاميذه وتياره الذي تمثل في حزب "الأمة" يقول أحد الباحثين الأجانب: "لقد تلقى حزب الأمة عونًا حقيقياً وأكيدًا من اللورد كرومر" ولقد خرج مُحَّد عبده بآراء عديدة تجعل الإسلام متماشيا مع الحضارة الغربية ولقد كانت أفكاره _كما يقول سفر الحوالي _ حلقة وصل بين العلمانية الأوربية والعالم الإسلامي ومن ثم باركها المخطط الصهيوني الصليبي واتخذها جسرا عبر عليها إلى علمانية التعليم والتوجيه في العالم الإسلامي وتنحية الدين عن الحياة الاجتماعية بالإضافة إلى إبطال العمل بالشريعة الإسلامية والتحاكم إلى القوانين الوضعية المستوردة واستيراد النظريات الاجتماعية الغربية وهو ما تم جمعه تحت ستار الإصلاح، ومن يقرأ عن حياة مُحَّد عبده ويأخذ شخصيته من كل جوانبها يجد إن الشيخ كان شغله الشاغل هو تحسين صورة الإسلام في أعين الغرب والنهوض بالأمة نهضة مادية كالتي كانت في أوربا يومها وربما هذا هو القاسم المشترك بينة وبين من يحاول أحيا دعوته اليوم أفرادا وجماعات، ولو تأملنا حالنا فها نحن نرى من يريد تحسين صورة الإسلام في أعين الغرب ولو بإنكار بعض أصول الإسلام والإيمان كالجهاد والولاء والبراء وكل ذلك بحجة التطور وان الإسلام يرفض الجمود ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120] يقول الدكتور مبيناً خطورة المهمة التي قام بها مُحَّد عبده ومدرسته العصرانية: "في هذا الاتجاه "وخطر التطوير على الإسلام وعلى المجتمع الإسلامي يأتي من وجهين: فهو إفساد للإسلام يُشوّش قيمه ومفاهيمه الأصيلة بإدخال الزيف على الصحيح، ويثبت الغريب الدخيل ويؤكده.

فبعد أن كان الناس يشاركون في تصاريف الحياة، وهم يعرفون أن هذا الذي غُلبوا على أمرهم فيه ليس من الإسلام، والأمل قائم في أن تجيء من بعدُ نهضة صحيحة ترد الأمور إلى نصابها عند الإمكان، يصبح الناس وهم يعتقدون أن ما يفعلونه هو الإسلام. فإذا جاءهم من بعدُ من يريد أن يردهم إلى الإسلام الصحيح أنكروا عليه ما يقول، واتهموه بالجمود والتمسك بظاهر النصوص دون روحها"[23].

يقول الشيخ الشهيد /عبد الله عزام "وأصدق كلمة في مُحَمَّد عبده وشيخه كلمة الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام: "فلعل الشيخ مُحَمَّد عبده وصديقه أو شيخه جمال الدين أرادا أن يلعبا في الإسلام دور لوثر وكلفن- زعيمي البروتستانت – في المسيحية فلم يتسن لهما الأمر بتأسيس دين حديث للمسلمين، وإنما اقتصر سعيهما على مساعدة الإلحاد المقنع بالنهوض والتجديد".

ويقول شيخ الإسلام مصطفى صبري – كذلك "أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى مُحَمَّد عبده فخلاصتها أنه زعزع الأزهر من جموده على الدين فقرب كثيرا من الأزهريين إلى اللادينيين خطوات ولم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدين الأفغاني. كما أنه هو الذي شجع قاسم أمين على ترويج السفور في مصر"[24].

ولذلك فلا أحسن طريقة لترويج العلمانية في المجتمع المسلم من طريقة الإسلام نفسه ومن خلال عمائم ولحى متأسلمة تستطيع صبغها بالشرعية الدينية كما هو الحال أيضا في قصة الشيخ علي عبد الرزاق و كتابه المسمى "الإسلام وأصول الحكم" والذي ترجم إلى الإنجليزية والأردية وقد ضرب سميث به مثلاً عندما أشار أن التحررية العلمانية لن تروج في العالم الإسلامي إلا إذا فسرت تفسيراً إسلامياً مقبولاً [25].

(23) د،مُحَمَّد مُحَمَّد حسين..

(24) القومية عبد الله عزام.

(25) الموسوعة الميسرة .

وقد خلص الشيخ علي عبد الرزاق في ذلك الكتاب إلى أن ليس للإسلام نظام سياسي لإقامة الدنيا إنما هو طقوس دينية لتزكية النفس والسمو بها وبمعنى أوضح لا سياسة في الدين وألقى الشيخ تجربة الإسلام الحية في حكم الدنيا وسياستها خلال ما يقرب من أربعة عشرة قرناً من الزمان خلف ظهره وقد تلقف من يسمون بالمثقفين والساسة كتاب علي عبد الرزاق بترحاب شديد فقد وجدوا فيه ضالتهم وأصبح لهم سند شرعي في القول بفصل الدين عن الدولة ومنح الشيخ علي عبد الرزاق جراء ذلك لقب باشا وروج لهم المتغربون في مجلاتهم وصحفهم إلا أن الكتاب ومؤلفه قد حوكموا من قبل هيئة علماء الأزهر في 12 / 8 / 1925م وصدرت ضده إدانة أخرجته من زمرة العلماء، لقد كان يروج لهذه الأفكار بصفة فردية أي أنه يقوم بها مجموعة أفراد...

لقد أصبح من المؤكد لدى الغربيين من إنهم لن يستطيعوا من نشر العلمانية في المجتمعات المسلمة ولن يتم لها القبول فيها إلا إذا أوجدت لها المبررات الشرعية... وهل هناك أفضل بالنسبة للغربيين من أن يحمل هذا التوجه بعض التيارات الإسلامية. فلا بد إذن من إحياء الأمل القديم ولكن هذه المرة على يد هذه التنظيمات والتي تمتلك المؤسسات الثقافية العملاقة ومراكز الأبحاث والتي من خلالها تستطيع نشر ثقافتها بالإضافة إلى كونها تضم العدد الأكبر من الأنصار والموالين... وكل المؤشرات والقرائن تدل على أن الغربيين وبأجهزتهم الضخمة قد استطاعوا إن ينفذوا إلى تلك التنظيمات باختراقها فكريا وامنيا وزرع عملائها داخل تلك الجماعات ليحتلوا مواقع القرار والنفوذ فيها فإن كان لا احد يستطيع أن ينفي حدوث مثل هنا الأمر لوجود ما يدحض هذا النفي فإننا نستطيع إن نثبت جواز مثل هذا الأمر وإمكانية حدوثه من خلال ما تجمع لدينا من آراء ومواقف وقرائن تجعلنا نشعر بالاطمئنان من إننا لم نظلم أحدا أو نتقول على أحد، وكما هو ملاحظ اليوم وواضح لكل المطلعين والمتابعين لحركة الإخوان فإن آراء وأفكار المدرسة العقلية والتي يمثلها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومن قبلهم رفاعة الطهطاوي قد أصبحت هي الخلفية الفكرية لحركة الإخوان والتي تنطلق منها في مواقفها وعلاقتها مع الآخرين ولا أظن احد يعرف حقيقة حركة الإخوان ويتابع مواقفها، يسوءه هذا الحكم.

(الإخوان المسلمون والمدرسة العقلية).. التأثير والتأثر

كنت ولا زلت اعتقد بأن حركة الإخوان المسلمين التي أسسها الشهيد حسن البنا من أهم الحركات الإسلامية في العصر الحديث والتي ساهمت بشكل واضح في إيقاظ الأمة الإسلامية وعملت على إحياء الإسلام في نفوس الملايين بعد أن اندرست معالمه أو كادت وأنها صاحبة أهم مشروع إسلامي في بداية القرن العشرين تهدف إلى إخراج الأمة الإسلامية من حالة الهوان والذل والانقسام والعمل على بث عزها من جديد وهو مشروع متكامل الملامح ومحدد الغايات والوسائل - مع وجود أخطاء لا يسلم منها بشر- غير أن ما طرأ على هذه الحركة من تغيير وتبديل في فكرها ومبادئها – ما ليس المجال لذكره – يجعلنا نتساءل هل لا زالت حركة الإخوان المسلمون اليوم هي نفس حركة الإخوان المسلمون التي أسسها الشهيد حسن البنا؟ هل لازالت الأهداف هي نفس الأهداف والمبادئ هي نفس المبادئ؟ هل لازال القران هو دستور الجماعة والجهاد سبيلها والموت في سبيل الله اسمي أمانيها؟ هل لازالت إعادة الخلافة الإسلامية وأستاذية العالم أهم أهداف الجماعة؟ وهل لازال تحرير الأوطان من كل سلطان أجنبي من أهم مبادئها؟ وبنظرة فاحصة لما عليه الحركة اليوم يتكشف لنا إن هذه الأهداف في واد وان ما عليه الحركة اليوم في واد آخر، فليس من المعقول أن الجماعة التي قدمت خيرة الشهداء كحسن البنا وسيد قطب وعبد القادر عودة ويوسف طلعت وعبدا لله عزام؟ هي الجماعة التي قدمت أسوأ قيادات عرفها التاريخ كرباني وسياف ومحسن عبد الحميد وأسامة التكريتي وشيخ شريف وارد وقان أحذية الصليبيين وعملاء أمريكا وليس من المعقول أن الجماعة التي أهم أهدافها الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانيها؟ هي الجماعة التي رفعت شعار النضال السلمي حتى في حالات الاحتلال ودفع الصائل كما حصل في العراق وأفغانستان!! وليس من المعقول أن الجماعة التي رفعت شعار الخلافة الإسلامية وأستاذية العالم؟ هي الجماعة التي أصبح همها الأول الدولة الوطنية بمفهومها القطري الضيق والمواطنة المتساوية بين المسلمين وغيرهم من النصارى والشيوعيين والملاحدة!! وليس من المعقول أن الجماعة التي لا تعترف

بأي سلطان على الأرض غير سلطان الله؟ هي الجماعة التي تعلن احترامها لمواثيق الأمم المتحدة الكافرة وديمقراطية الغرب المنحرفة!! وليس من المعقول ان الجماعة التي من أهم مبادئها تحرير الأوطان الإسلامية من كل سلطان أجنبي؟ هي الجماعة التي دخل رموزها وقادتها على ظهر الدبابة الأمريكية في أفغانستان والعراق ليصبحوا حكاما تحت ضل سيدهم المحتل!! وليس من المعقول ان جماعة الإخوان التي قاتلت ضد الإنجليز واليهود؟ هي الجماعة التي أفتى مرجعيتها الشرعية الكبرى "القرضاوي" بجواز قتال المسلم الأمريكي في صف الجيش الأمريكي الكافر ضد إخوانه المسلمين لكي لا يشكك في وطنيته ويؤثر على معاشه[26]؟

فنحن إذا بين مدرستين متضادتان ومتناقضتان فكرا ومنهجا وسلوكا؟ ومن خلال رجوعنا إلى ما خلفه الإمام البنا من منهج ومبادئ وأسس لهذه الحركة ومقارنته بما تنتهجه الحركة اليوم وتمارسه قيادتها على أرض الواقع نستطيع أن نجزم بكل يقين بأن حركة الإخوان اليوم ليست هي حركة الإخوان التي أسسها البنا ولا تنتسب إليها لا من قريب ولا من بعيد وأنه في حقيقة الأمر لم يتبق من حركة الإخوان (الأم) إلا الاسم فقط أو مجموعة إفراد سواء قلوا أو كثروا فليس لهم من الأمر شيء أو ما تبقى من فكر جذاب تلجأ إليه الحركة الحالية إذا ما انتقدت أو شعرت بحاجتها لاستقطاب عناصر جيدة للحركة حيث لا تملك الحركة الحالية وسيلة للاستقطاب أفضل من أفكار الإمام البنا والشهيد سيد قطب برغم عدم تبنيها لأفكارهما في الواقع العملي.

ويمكن القول بأن حركة الإخوان اليوم هي في الحقيقة امتداد لمدرسة مُحَّد عبده العقلانية خصوصا فيما يتعلق بفكرها السياسي وعلاقتها مع الغرب كما مر معنا سابقا، بل وتشبهها عقديا، فمدرسة مُحَّد عبده أشعرية العقيدة معتزلية التفكير المعروف عنهما التوسع غير المستساغ في التأويل وهو ما يلاحظ بوضوح في كتابات الكثيرين من كتاب الإخوان ومفكريهم؟.

(26) صحيفة الشرق الأوسط مقال لفهمي هويدي 2001/10/8م وهو أحد الموقعين على هذه الفتوى.

ولقد كنت اعتبر كون الإخوان المسلمين امتداد لمدرسة مُحَّد عبده تهمه من الاتهامات التي تستحق الرد عليها حتى فؤجئت بأن الدكتور القرضاوي يعتبر ذلك ميزة للإخوان لا تهمة لهم، وأنه يعتبر إنكار ذلك من التهم العجيبة حيث يقول "من التهم العجيبة التي وجهت إلى الإخوان من بعض المنشغلين بالفكر أنهم خرجوا عن خط مدرسة الإصلاح والتجديد الإسلامي والتي مثلها جمال الدين الأفغاني ومُحَّد عبده ورشيد رضا والحق أن الإخوان لن يخرجوا عن خط هذه المدرسة في الإصلاح والتجديد(27)".

ويقول أيضا: "والشيخ البنا مشى على نهج الشيخ رشيد واقتفى أثره وإن بدا في بعض الأحيان أقرب إلى التشدد كما في قضايا المرأة والشورى والتعددية ونحوها (28)".

هكذا يقرر القرضاوي هذا الأمر الغريب دون أي دليل يؤيده في ادعائه هذا من فكر الإمام البنا وما ذلك إلا لحاجة في نفس يعقوب ستتضح بعد قليل، والحقيقة أن الإمام البنا لم يكن يوما متأثرا بهذه المدرسة العقلية والتي يسميها القرضاوي بمدرسة الإصلاح والتغيير ولم يمش يوما من الأيام خلف توجهاتها بل إنه قارعها ونقدها وحذر منها وما لدينا من ارث فكرى للإمام البنا يثبت ذلك.

يقول الإمام البنا: "الواقع أن هذه البلاد وغيرها من البلاد الإسلامية تتغشاها موجة ثائرة قاسية من حب التقليد الأوربي والانغماس فيه إلى الأذقان ولا يكفى بعض الناس إن ينغمسوا هذا الانغماس في التقليد بل هم يحاولون أن يخدعوا أنفسهم بأن يديروا أحكام الإسلام وفق هذه الأهواء الغربية والنظم الأوربية ويستغلوا سماحة هذا الدين ومرونة إحكامه استغلالا سيئا يخرجها عن صورتها الإسلامية إخراجا كاملا ويجعلها نظما أخرى لا تتصل به بحال من الأحوال ويهملون كل الإهمال روح التشريع الإسلامي وكثيرا من النصوص التي لا تتفق مع أهوائهم هذا خطر مضاعف في الحقيقة فهم لم يكفهم ان يخالفوا حتى جاءوا

(27) 70عاما من التربية والدعوة والبناء.

(28) المرجع السابق .

يتلمسون المخارج القانونية (الشرعية) لهذه المخالفة ويصبغوها بصبغة الحل والجواز حتى لا يتوبوا منها أو لا يقلعوا عنها في يوما من الأيام [29]".

وما دام الإمام البنا كذلك فما هو السبب الذي جعل القرضاوي يستميت في إثبات أن الإمام البنا كان متأثراً بهذه المدرسة على الرغم من عدم وجود ما يؤيد ذلك من ارث البنا الفكري بنص اعتراف القرضاوي نفسه والذي وصف البنا بالمتشدد لاسيما في قضايا المرأة والشورى والتعددية ونحوها والحقيقة أني احترت في معرفة هذا السبب حتى قرأت للقرضاوي بعد صفحة من كلامه السابق ما نصه "و أنا شخصيا قد اجتهدت في قضايا لم التزم فيها تماما برأي البنا وعلى هذا الأساس اجتهدت في قضايا الديمقراطية والتعددية وترشيح المرأة للمجالس النيابية والتعامل مع غير المسلمين وغيرها وهي اجتهادات تخالف اجتهاد إمامنا الشهيد[30]".

وهكذا عرفت السر في محاولة القرضاوي إلحاق الإمام البنا رحمه الله بخط هذه المدرسة وعرفت لماذا اعتبر القرضاوي الإخوان امتداد لمدرسة مُحَّد عبده العقلية واعتبار ذلك ميزة من المميزات وعرفت بأن كل هذا ما هو في الحقيقة إلا تبريرا نفسيا لإتباعه هو شخصيا خط هذه المدرسة ومخالفته للإمام البنا في ذلك، ولم يكتف القرضاوي بخروجه هذا عن خط ألبنا وإنما أخذ يحاول إثبات أن الإمام البنا نفسه كان امتدادا لهذه المدرسة ومتأثرا بها وهو قمة الافتراء والكذب وكان بإمكان القرضاوي أن يتبع ما يشاء من أفكار دون أن يقحم الإمام البنا في ذلك ويدعى عليه ما هو منه براء، ولأن القرضاوي بقي مصرا على إقحام البنا في خط هذه المدرسة ظلما وعدوانا دون أن يجد في إرث البنا الفكري ما يؤيده في ذلك، فما كان منه ليخرج من ورطته تلك إلا إن يقول: "ولا ننسى أن البنا قد توفي وهو ابن الثالثة والأربعين وكان عقله مرناً متفتحاً قابلا للتجدد والتطور ولم يكن يرحمه الله جامدا ولا منغلقا كما يبدو من تراثه ومن مواقفه المختلفة ولقد بدأ صوفيا وانتهى أقرب إلى السلفية [31]".

(29) حسن البنا مجموع الرسائل.

(30) 70عاما من التربية والبناء.

(31) المرجع السابق .

وهكذا أجهز القرضاوي على ادعائه على الشيخ البنا فالإمام البنا عند القرضاوي كان متشدداً، وتراث البنا ومواقفه تجعله يبدو جامدا ومنغلقا في نظر القرضاوي وأخيرا انتهى أقرب إلى السلفية، وكل هذه الأوصاف لا تسعف القرضاوي بإثبات كون البنا امتداد لمدرسة مُحَّد عبده العقلية أو متأثر بها لعدم انسجام هذه الأوصاف مع خط هذه المدرسة أولا، ولعدم وجود ما يثبت ذلك من إرثه الفكري المتوفر بين أيدينا ثانيا، ونحن إنما نحكم على ما هو متوفر لدينا من ارث فكرى للإمام الشهيد، وليس على ما يتوقع أن يقوم به فيما لو استمرت به الحياة، حيث سيكون الحكم على هذا النحو الذي ذهب إليه القرضاوي نوعا من الرجم بالغيب وضربا من الكهانة، ولو فرشنا أمامنا خارطة فكر الإمام الشهيد ثم قارناه بما تنتهجه الحركة اليوم لرأينا بوضوح حجم النقض الذي أحدثه القرضاوي وغيره في ذلك الفكر والذي بدونه لا معنى لبقاء الحركة أصلا، لأن هذا الفكر في الحقيقة هو مبرر وجودها وبدونه يستوي وجودها من عدمه.

ولو رجعنا إلى الأفكار التي خالف فيها القرضاوي الإمام البنا لوجدناها الأفكار التي تسير عليها الحركة حاليا وتتخذ منها منهجا جديدا يعارض بالكلية الخط الأصيل لمنهج الحركة التي أسسها البنا واستطاع بها أن يحرف مسار الحركة عن وجهتها الحقيقية كما ان أفكار القرضاوي هذه التي خالف فيها الإمام البنا هي الأفكار التي حولت حركة الإخوان من حركة إسلامية ذات مشروع وأهداف واضحة إلى حزب سياسي يفخر بالتزامه بقواعد اللعبة الديمقراطية وتنظيم تائه في مقتضيات الحزبية المفروضة أصلا من قبل صناع الديمقراطية على كل حزب يدخل في حلبة الصراع السياسي، والحقيقة أن القرضاوي لم يأت بجديد في هذا السياق حيث أن أفكاره هذه او "اجتهاداته" كما يحلو له أن يسميها هي في الحقيقة عين الأفكار التي دعا لها مُحَّد عبده ومن قبله رفاعة الطهطاوي وروج لها العقلانيين ودعاة التغريب سابقا، ولا غرابة في هذا فالقرضاوي لا يرى ولا يسمع إلا من خلال أفكار هذه المدرسة وأصحابها كما يلاحظ من كتاباته بل ولا يرى للأمة للخروج مما تعانيه من ذل وضعف إلا بالرجوع لأفكار هؤلاء واقتفاء آثارهم حيث يقول في أحد كتبه "ان العلاج الفذ لما عليه المسلمون من ضعف وتمزق وانحطاط هو العودة إلى الإسلام الصحيح، كما

دعا إلى ذلك المجددون الأصلاء مثل جمال الدين والكواكبي ومُحَمَّد عبده ورشيد رضا وإقبال وحسن البنا وصادق الرفاعي وعباس العقاد وغيرهم من المفكرين ودعاة الإصلاح[32]".

يقول الشهيد عبد الله عزام في معرض حديثة عن الأفغاني وعبده والكواكبي "هؤلاء الثلاثة كانت أفكارهم تمهيدا للعلمانية، فقد كانت آراؤهم قنطرة عبرت عليها العلمانية إلى العالم الإسلامي كما يقول ألبرت حوراني وحطم الحاجز النفسي بين الكافرين والمسلمين، وأصبحت نفوس المسلمين قابلة لتقبل الأفكار الواردة وعلى رأسها القومية، يقول ألبرت حوراني: "ومن الحق أن الذي يقرأ لمحمد عبده في مناظراته مع رينان ومع فرح أنطون يحس أنه كان يريد أن يقيم سداً في وجه الاتجاه العلماني يحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه ولكن الذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليه إلى العالم الإسلامي لتحتل المواقع الواحد تلو الآخر ثم جاء تلاميذ مُحَمَّد عبده ليعمقوا هذا التيار وليقودوا المجتمع بعلمانيتهم"[33].

وإن تعجب فلن تعجب من دفاع الليبراليين والقوميين عن رموز العقلانية وعلى رأسهم مُحَمَّد عبده والأفغاني واحتفاءهم بهم ولكن العجب حقا حين تجد أمثال القرضاوي ينافس هؤلاء في دفاعهم واحتفائهم وما ذلك إلا لتشابه بضاعة القوم وإن اختلفت مسمياتهم.

يقول الدكتور مُحَمَّد مُحَمَّد حسين رحمه الله: "ومن شاء أن يعرف المكان الصحيح والقيمة الحقيقية لمحمد عبده وللأفغاني أن ينظر في الصحف اليومية والمجلات الدورية وفي كتب الكتاب الليبراليين الذين لا يسمحون بأن يُمس أي منهما، والذين يهاجمون بفظاظة وشراسة كل من يمسهما من قريب أو بعيد، مع أن هذه الصحف والمجلات والكتاب لا يُعرفُ عنهم غيرة على الإسلام في غير هذا الموضع، بل إنهم لا يثورون حين يُمس رسول الإسلام ﷺ وأصحابه، ويرون أن ذلك مما تسعه حرية الفكر واختلاف الرأي، بل إنهم

(32) من اجل صحوة راشدة /يوسف القرضاوي.

(33) القومية العربية /عبد الله عزام .

يلتزمون التزاماً دقيقاً أن لا يُذكر اسم مُحَّد عبده إلا مقروناً بلقب (الإمام)، ويذكرون اسم الرسول ﷺ مجرداً"[34].

والغريب في الأمر أن يجعل القرضاوي هذا الفكر الدخيل الذي قام بإدخاله على فكر الجماعة هو الأصل ويتهم الإخوان الحقيقيين السائرين على نهج البنا لم يغيروا ولم يبدلوا بأنهم متأثرون ببعض المدارس الإسلامية في إشارة إلى السلفية حيث يقول "ولن أنكر أن في حركة الإخوان وفي بعض الأقطار ولدى بعض الأفراد والقيادات أحيانا ميلا إلى التشدد تأثرا بالمدارس الأخرى التي لها وجود في الساحة الإسلامية ولكن هؤلاء لا يمثلون اليوم التيار الغالب في الحركة [35]"؟

وهذا إقرار من القرضاوي بوجود تيارين متباينين داخل الإخوان، وهو ما تحاول قيادة الإخوان إنكاره هنا في اليمن مع أن وجودهما لا يحتاج إلى دليل وكل هذا ليبقوا متسلقين على أكتاف من يسمونهم بالتيار المتشدد لما لهم من ثقل شعبي وتنظيمي، وإن بدت قيادة الإصلاح في الفترة الأخيرة بالتذمر من هؤلاء بعد ان اشتدت سواعد هذه القيادة على حسابهم وبعد أن استطاعت من سحب البساط من تحتهم وحققت السيطرة الكاملة على التنظيم ويتمثل ما يسمونه بالتيار المتشدد هنا في اليمن في الشيخ عبد المجيد الزنداني والشيخ مُحَّد الصادق وعدد غير قليل من العلماء وطلاب العلم الشرعي... ويكفي أن تعرف عن حجم الخلاف بين الفريقين ما يبرز إلى السطح أحيانا من مواقف فاقت حد التشويه والتحذير ممن يسمونهم بالمتشددين بل وصلت إلى حد اقتراف جريمة الاغتيال في حق الشيخ الزنداني هذا التباين الذي أفرزه التغيير الفكري في الحركة والذي أدى إلى سيطرة أصحاب هذا الفكر الدخيل والتوجه الجديد على مقاليد الأمور في الحركة والذين وصلوا إلى مواقع القرار والتوجيه فيها بطرق مكيافلليه ملتوية هذا الانحراف عن المنهج السوي؟؟؟

ولم ينصف القرضاوي من أسماهم المتشددين في الحركة حيث جعل هذا التشدد تأثرا ببعض المدارس الإسلامية ولو أراد الحق لقال إنهم الباقون على فكر ألبنا لم يغيروا ولم يبدلوا

(34) د مُحَّد محمد حسين.

(35) القرضاوي المرجع السابق .

بنص اعتراف القرضاوي السابق في حديثه عن البنا حين وصفه بالمتشدد ووصف فكره ومواقفه بالجمود والانغلاق.

فلماذا لا تنسب تشددهم هذا وسلفيتهم للإمام البنا؟ والذي وصفته بالسلفي المتشدد.

ولماذا لا تنسب جمود وانغلاق فكرهم إلى جمود وانغلاق البنا كما يبدو من تراثه حسب زعمك؟؟

فمن أحق بالبنا وحركته إذن؟ هل هم الباقون على فكرة وتشدده وانغلاقه وجموده كما تقول؟ ام هم الذين أحدثوا في فكرة مسخا وتقطيعا وتشويها؟ فما لكم كيف تحكمون! ولقد كان فتحي يكن أكثر إنصافا من القرضاوي حين تحدث عن وجود تيارين متضادين داخل الحركة حيث يقول في مقدمة كتابة (قطوف شائكة): "حيال تعثر العمل الإسلامي وتكاثر الأخطاء تبرز مدرستان متناقضتان في مواجهة ذلك **المدرسة الأولى** تقوم على تبرير الأخطاء وتلمس الأعذار لكل ما يحدث ويقع بما في ذلك التستر على المخطئين فضلا عن الخطيئة مادام هؤلاء يظهرون الطاعة لأصحاب هذه المدرسة ويقدمون مراسم الخضوع والولاء!!

إنها أشبه بالمدرسة الميكيافلية ولكن باسم الإسلام!! والنتيجة تفاقم الأخطاء وتعاظم التعثر وعدم الاستفادة من التجارب ودفع الأثمان الباهظة مرارا وتكرارا على كل صعيد.

المدرسة الثانية تعتمد النقد الذاتي البناء ووضع الأصابع على العلل والمشكلات أيا كانت أو كان المسئول عنها وتبني قاعدة الثواب والعقاب وأن الحق فوق الجميع وأن الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بهم، وأنه حجة على الناس أجمعين".

ويوضح لنا فتحي يكن السبب ويجيب على القرضاوي في قوله بان أصحاب هذه المدرسة ليسو هم التيار الغالب في الحركة فيقول "وأصحاب هذه المدرسة متهمون ملاحقون محاصرون ومحاربون دائما من سدنة المدرسة الميكيافلية والتي يتمترس أصحابها –

عـادة – وراء المواقـع التنظيميـة ويسـتقون بالمـواد القانونيـة الـتي لا تغـني مـن الحـق شـيئا، دونمـا اهتمام بالموقف الشرعي والحكم الشرعي بحسب أدلته المعتبرة والمرعية [36]".

إذا فالسـبب الـذي يجعـل مـن وصـفهم القرضـاوي بالمتشـددين في حركـة الإخـوان ليسـوا هـم التيـار الغالـب في الحركـة؟... الخ إنهـا المحاربـة والملاحقـة مـن التيـار العقـلاني الميكيـافلي الـذي وصـل إلى سـدة القيـادة والتوجيـه في الحركـة بطـرق ميكيافليـة ملتويـة تـنم عـن رداءة نفسـيات أصحابها.

ولم يخـف القرضـاوي في أكثـر مـن موضـع مـن كتبـه تأثـره العميـق بهـذه المدرسـة وافتتانـه برموزهـا كجمـال الـدين الأفغـاني ومُحَّد عبـده والكـواكبي حيـث أنـه يعتـبر أن لا خـروج للأمـة ممـا تعانيه إلا بإتباعها لهؤلاء واقتفاء آثارهم.

فـإذا مـا اتضـح لـدينا بأن هـؤلاء العقلانيـين الإسـلاميين وعلـى رأسـهم أغلـب مفكـري الإخـوان وصـناع القـرار فـيهم إنمـا هـم صـنيعة مـن صـنائع الغـرب وجـزء مـن مخلفـات مـدارس الاستشـراق فـلا غرابـة بعـد ذلـك أن نجـدهم يؤيـدون الأجنـدة والمخططـات الصـليبية ويوجـدون لها المبررات الشرعية باسم الاجتهاد والتجديد تارة وبحجة الوسطية والاعتدال تارة أخرى!!

(36) قطوف شائكة في حقل الدعوة / فتحي يكن.

الإخوان المسلمين تغيير فكري وانقلاب قيادي

لم يقتصر التغيير في حركة الإخوان على الجانب الفكري فقط كما أشرنا إلى ذلك سابقا – وهو الأهم – حيث تزامن هذا الأمر مع تغيير قيادي طال البنية القيادية في الحركة الأم في مصر فقد كان الجهاز الخاص للإخوان هو المحرك الفعلي والقيادة الفعلية للحركة والذي بدأ نشاطه في أواخر حياة الإمام البنا وتحديدا منذ حل الحركة، وبقي نشاطه حاضرا في الجماعة وقد جاء تشكيله بإشراف مباشر من الإمام البنا رحمه الله بعد إن استنفدت الجماعة جهدها الدعوي دون إن تجد استجابة من قبل السلطات التي أعلنت رفضها للمطالب التغييرية للحركة والتي كان يتطلع إليها الإمام الشهيد وقد كان من أهم الأسباب التي دعت إلى تشكيله محاربة الانجليز وإجبار الملك والحكومة على إلغاء الاتفاقيات الموقعة معهم إضافة إلى أن الإمام البنا كان يعلم بأنه لابد للحق من قوة تحميه فما كان منه رحمه الله إلا تشكيل الجهاز العسكري للجماعة المسمى بالجهاز الخاص والذي قام بعدد من العمليات أهمها اغتيال رئيس الحكومة محمود النقراشي عميل الانجليز والذي تولى وزر حل الجماعة وكذلك اغتيال القاضي الخازندار وغيرها غير أن السلطات الانجليز–والملك لم تترك هذه الأحداث تمر مرور الكرام فقامت باتخاذ العديد من الإجراءات الصارمة ضد الجماعة أهمها اغتيال الإمام الشهيد لتبدأ الحركة بعد ذلك مرحلة جديدة توجت باختيار حسن الهضيبي مرشداً للحركة على الرغم من انه لم يكن من الهيئة القيادية في مكتب الإرشاد العام ولم يكن معروفاً لدى غالبيه الإخوان والذي قام بدورة بالتصالح مع السلطات فقام بزيارته التاريخية لقصر عابدين لمقابلة الملك فاروق بعد أشهر من قتل الإمام البنا ليخرج من تلك الزيارة ليقول زيارة كريمة لملك كريم وقد عمل على الحد من أنشطة الجهاز الخاص وتهميش قيادته وقد أراد التيار الذي اختار الهضيبي لمنصب المرشد العام؛ تحصيل عدة فوائد، منها إرضاء الملك، وإرضاء القضاة، وإبعاد التيار المتطرف – وخاصة قيادات النظام الخاص عن القيادة – وقد صرح بهذا الإخوان أنفسهم والذين أرخوا لهم. يقول فريد عبد الخالق: "واستبشر الإخوان بمرشدهم الجديد، وأولوه ثقتهم، والتفوا حوله، وقد رأوا في اختياره على

رأس الجماعة تصالحا مع القضاء الذي ساءته تصرفات بعض الأفراد وارتكابهم حوادث عنف في عام 1948 قبل صدور قرار حل الجماعة، ولا يزال الرأي العام يذكر مقتل النقراشي، واغتيال الخازندار، وفي هذه التصرفات ما شوه صورة الجماعة في نظره، وفي موافقة الأستاذ الهضيبي على أن يكون مرشداً للإخوان المسلمين؛ تصحيح لهذه الصورة"[37].

ويقول أيضاً – عند كلامه على عمل الهضيبي في الجماعة بعد توليه شئونها –: "وكان البناء الداخلي هو الآخر يحتاج إلى علاج بعض المتاعب التي حلت به في أخريات أيام الإمام حسن البنا، عندما وقعت تلك التصرفات الفردية عن قيادة وبعض أعضاء "النظام الخاص" بقيامهم بحادثتي الاغتيال اللذين سبقت الإشارة إليهما، دون علم المرشد، وعلى غير منهج الجماعة ووسائلها في تحقيق أهدافها، التي ليس فيها الاغتيال أو العنف، فقد أعتبر حسن البنا ذلك خروجاً على نظام الجماعة[38]".

ويقول صالح عشماوي – عضو مكتب الإرشاد، وأحد أقطاب الجماعة، وصاحب "مجلة الدعوة" والذي غضب عليه الهضيبي وفصله من الجماعة فيما بعد – في خطابه أمام الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين: "ثم عندما أراد الأستاذ منير دله تعيين مرشد عام للجماعة، وعندما اقترح اسم الأستاذ حسن الهضيبي، ولم يكن معروفاً لأحد من الإخوان في ذلك الوقت إلاّ العدد القليل، وكيف أنه قال بأن هذا الحل هو الذي يجمع شمل الإخوان ويجعلهم على قلب رجل واحد ويمنع تنازعهم وفرقتهم، وكيف أنهم ذكروا اعتبارات أخرى ومزايا لهذا الاختيار، لا محل لذكرها الآن، ثم ذكر كيف أنه تخطى العقبات القانونية" إلى أن قال: "وتمت الإجراءات رغم مخالفتها الصريحة لنظام الجماعة" [39].

ويقول أيضاً في مقال لاحق: "يخطئ من يظن أن الأحداث الأخيرة في محيط الإخوان كانت نتيجة لقرار المكتب، القاضي بفصل أربعة من خيرة الإخوان من غير توجيه اتهام

(37) فريد عبد الخالق، الإخوان المسلمون في ميزان الحق.

(38) المرجع السابق.

(39) مجلة الدعوة.

إليهم أو تحقيق معهم، وبدون إبداء الأسباب، إنما الحقيقة أن هذا القرار كان عارضاً لمرض أصاب الدعوة منذ مجيء الأستاذ حسن الهضيبي مرشداً عاماً للجماعة"[40].

وتقول د. لطيفة مُحَمَّد سالم عن أحداث 1951: "وعلى آية حال، فإن الاتجاه المتطرف لم يتحكم في الموقف، وضح ذلك في اختيار حسن الهضيبي مرشداً عاماً، وتجاهل الاختيار قانون الهيئة التأسيسية ولم يكن الهضيبي عضواً فيها، ولا في مكتب الإرشاد، ولا رئيس شعبة، ولم يكن يحضر درس الثلاثاء، لكن قيل إن هذا الرجل هو الذي اختاره حسن البنا في أيام المحنة ووكله الإشراف على رعاية أسر الإخوان، وقد عمل بالقضاء فترة طويلة، والواقع أنه لم يتمتع بالشخصية القوية التي تؤهله للزعامة الفردية كسلفه، وكان هذا هو المقصود، نظراً لصعوبة البيعة لأحد العناصر القوية المتنافسة، ذلك من ناحية، وللسياسة الجديدة التي ارتأى الإخوان انتهاجها تجاه فاروق وهي تعتمد على مهادنة القصر لاستعادة الجماعة لمكانتها من ناحية أخرى، فالمختار يمت بصلة نسب لناظر الخاصة الملكية ولرئيس القسم المخصوص الإنجليزي بالديوان، ومعروف عنه دماثة أخلاقه، وكان القصر يسعى لتبوئه المركز" [41].

وهكذا تم اختيار الهضيبي مرشداُ للحركة إرضاء للقصر وهكذا تم انحراف مسار الحركة وهكذا تنكرت لدماء رموزها وقادتها وعلى رأسهم الامام البنا، ويؤسفني أن تتناول حركة الإخوان في ذلك الوقت المسائل العقدية الكبرى بسطحية شديدة كمسائل الإيمان والكفر والولاء والبراء وأحكام الردة وكان من ذلك ندمها على العمليات التي قام بها الجهاز الخاص وتجريم فاعليها والتبرؤ منهم كما أشرنا إلى ذلك في النقولات السابقة وما كتاب دعاة لا قضاة للهضيبي إلا ردا على عمليات الجهاز الخاص والذي تم فصل عدد من قياداته بسبب معارضتهم لهذا التوجه الجديد الذي يجرم تلك الأفعال باعتبار أن من نفذت ضدهم تلك العمليات مسلمين وكان ممن فصل لهذا السبب مُحَمَّد الغزالي واحمد عبد العزيز وصالح

(40) مجلة الدعوة .

(41) د/ لطيفة مُحَمَّد سالم: فاروق وسقوط الملكية في مصر، 1936 – 1952، الطبعة الأولى 1409 هـ، 1989 م، مكتبة مدبولي، القاهرة.

عشماوي[42] رئيس تحرير مجلة الدعوة الناطقة باسم حركة الإخوان منذ تأسيسها والتي تبرأت منها القيادة الجديدة هي الأخرى بحجة إنها لم تعد تمثل فكر الحركة.

وقد كان كتاب دعاة لا قضاة باكورة لفكر الإرجاء الذي بدأ بالتغلغل في حركة الإخوان وقد رأينا كيف اتسع ذلك الفكر الإرجائي في الجماعة بعد ذلك، بل لقد تجاوز الإخوان هذا الأمر إلى ما هو أقبح وأشنع وصل إلى حد أن يشهد المرجعية الفقهية الكبرى للإخوان "القرضاوي" أخيراً لبابا الكنيسة يوحنا بولس الثاني بالإيمان داعيا من الله إن يرحمه ويثيبه بقدر ما قدم من عمل صالح واثر طيب!! وان يجعل نشاطه في نشر دينه في موازين حسناته!! وان يعوض الأمة المسيحية فيه خيرا[43]!!.

وهكذا حدث التغيير الفكري في حركة الإخوان المسلمين والذي أصبح نتاجه علقماً لا زلنا نعيش أوجاعه إلى اليوم ومما ينبغي معرفته هنا أن هذا التغيير الفكري والقيادي في حركة الإخوان لم يأت دفعة واحدة كما قد يتبادر إلي الذهن وإنما أتى بتدرج منتظم وبتخطيط مسبق حتى وصل إلى صيغته الحالية التي لا تفرح إلا المحاربين لهذا الدين الكائدين له إذ أنه بذهاب المنهج الحق وغياب القيادة الراشدة المرشدة يسهل للأعداء توجيه الحركة لما يخدم مخططاتهم وأهدافهم وهذا هو المراد من التغيير الفكري والقيادي في حركة الإخوان المسلمون.

وقد ألقى هذا التغيير القيادي في الحركة الأم في مصر بظلاله على فروع الحركة في الأقطار العربية والإسلامية الأخرى ويعتبر تنظيم الإخوان المسلمين في اليمن أول تنظيم على المستوى الدولي شهد ما يسميه بعض قادة الإخوان في العالم بعملية تطهير على مستوى القيادة من ذوى الأفكار المتشددة وذلك منذ النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي حيث نجح بعض عناصر الصف الثاني من حركة الإخوان في اليمن في إقصاء الشيخ عبد المجيد الزنداني المؤسس والمراقب العام للإخوان في اليمن وتمكنوا من إخراجه من

(42) الدكتور عبد الله النفيسي.

(43) انظر برنامج الشريعة والحياة على قناة الجزيرة بتاريخ. 3|4|2005.وانظر الحلقة مفرغة كتابة على موقع الجزيرة نت.

داخـل حركـة الإخـوان بانقـلاب أبـيض ليسـتلم القيـادة خلفـا لـه الأسـتاذ ياسـين عبـد العزيـز القباطي [44].

(44) عبد الإله حيدر شائع.

القيادة الانقلابية وعبث السامري

السامري هو تلك الشخصية الشيطانية الخفية بحسب تعبير د/ فتحي يكن، وهو الحاضر في غيبة القيادة؛ لقد ذهب موسى عليه السلام إلى ميعاد ربه وترك قومه بني إسرائيل وترك عندهم أخاه هارون معلما وموجها ولم يكن يدري موسى عليه السلام بأن هناك رجلا من قومه يدعى السامري يتربص بقومه الدوائر وينتظر اللحظة التي سيغيب فيها موسى على أحر من الجمر فلقد كان يرى بأنه أحق بقيادة بني إسرائيل من موسى، وما إن غاب موسى حتى أخذ السامري في تنفيذ خطته الخبيثة والتي تقضى بتغيير منهج بني إسرائيل فأخذ يعبث بمنهجهم ودينهم وكان من فعله أن صنع لهم عجلا له خوار ودعاهم إلى عبادته من دون الله ولم يسمع السامري لنصح الناصح فقد حذره هارون من مغبة عبثه وفجوره فما زاده ذلك إلا طغيانا ونفورا فلقد ادعى السامري لنفسه بصيرة ليست لأحد وأن لديه سعة في الأفق وفهم الأمور ما ليست لغيرة من الناصحين الذين رماهم بضيق الأفق وضعف البصيرة حيث قال ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ [طه: 96] وأخذ يتعلل بشرعنة فعله هذا فلديه أثر لما يفعل ودليل ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ [طه: 96] وهكذا سولت له نفسه الخبيثة؟؟؟ ويمكننا استخلاص أهم صفات القيادة السامرية وهي:

1. العبث بالمنهج الحق تحت حجج واهية (فقه الواقع، فقه المرحلة، المصلحة، المفسدة، وغيرها).

2. ادعائه علما وفهما للواقع وسعه في الأفق ما ليس لغيره.

3. محاربته للقيادة الحقيقية وتشويهها في المجتمع ورميها بضيق الأفق ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ [طه: 96] وهذا هو ديدنهم على مر الأزمان.

4. الادعاء بامتلاكه الدليل الشرعي لشرعنه عبثه وفجوره ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ [طه: 96].

لقد كانت الشخصية السامرية حاضرة على مر التاريخ والأزمان تعبث وتفجر... وهنا اترك المجال للدكتور فتحي يكن للحديث عن دور الشخصية السامرية في الانقلاب القيادي لحركة الإخوان المسلمين وما أكثر ما كتب وأسهب حيث يقول: "السامري هذا هو الشخص الغامض والشيطان المتمثل بصورة إنسان وصاحب هذه الشخصية هو الحاضر في غيبة القيادة الذي يعمل على تضليل القاعدة وهو الناشط في حضورها لتمرير أهدافه وغاياته أنه وراء فشل الكثير من المشاريع الناجحة وهدم العديد من المؤسسات الفالحة وبروز الكثير من المشكلات السوداء لكم لطخ هذا الصنف من الناس ذات الصفات السامرية سمعة أبرياء وهز الثقة بشرفاء وعظماء وشوه صورة أصفياء وأتقياء؟ ثم اخذ يعدد مراحل ظهور الشخصية السامرية بدءاً بعبد الله بن أبي إلى أن قال "وظهرت في العصر الحديث من خلال عملية تأسيس الحركة الإسلامية المعاصرة التي قام بها وتابعها الإمام الشهيد حسن البنا فيما أشار إليه في كتابه "مذكرات الدعوة والدعاية" وظهرت في بلاد الشام من خلال ما سمعته مباشرة من فم مؤسس الحركة الإسلامية في هذه المنطقة الدكتور مصطفى السباعي وكان على فراش الموت بعد أن أقعده المرض عن أنّاس همهم الاصطياد في الماء العكر والإساءة إلى من سبقوهم بإحسان كيف أنهم اغتنموا فرصة حالته المرضية وراحوا يعبثون في بناء الحركة إفساداً وتخريباً وظهرت بعد موت الدكتور السباعي فيمن أشار إليهم وسماهم حيث أطلقوا لأنفسهم العنان في التعرض لرموز الحركة وعلمائها من أمثال العالم الرباني عبد الفتاح أبو غدة".. إلى أن قال: "وحدثني من أثق بدينه أن هذه الظاهرة تكاد تقوض بناء حركة إسلامية في بلد عربي حيث تمكن أحد هؤلاء من بلوغ مواقع القرار فيها في ضعف من قيادتها وتغرير بعدد من النافذين فيها وغفلة من الكثيرين من أعضائها وكانت العاقبة:

- شيوع الفتن في صفوفها.
- واستشراء الغيبة والنميمة بين عناصرها.
- وبروز ظاهرة الصراع بين أجيالها.

- وتعاظم الاهتمام بالمناصب الاجتماعية والسياسية واللهث وراء المصالح الشخصية لدى الكثيرين من أعضائها.

- وخسارة العديد من أصحاب الكفاءة والأهلية التي كانت لديها.

- وتسلق أصحاب الأهواء هرم المسؤوليات والمواقع فيها وفي الحديث "إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة " البخاري[45] أ. هـ".

لقد عبث السامري بحركة الإخوان وحطم بنيانها وهدم أركانها وسولت له نفسه الخبيثة فأخرج لهم عجلا ولكن ليس له خوار سموه مجازا (مصلحة الدعوة)؟؟ ولا تسأل بعد هذا إن إصابتك جائحة في مالك وعرضك فربما أن مصلحة دعوة الإخوان تقتضي ذلك!!

وأرجو أن تكون هذه المقدمة كافية رغم قصورها لما أنا بصدد الحديث عنه وهو القراءة في مواقف حزب الإصلاح ومدى تبعيتها للتوجهات الغربية، وكل ما ارجوه من القارئ الكريم أن يعذرني على هذا الاستطراد في هذه المقدمة المطولة، إذ أننا لو أردنا معرفة هذه المواقف من قبل الإصلاح وكيف جاءت فلا بد من الإلمام ولو قدراً يسيراً بالخلفية الفكرية التي قامت على ضوئها هذه المواقف وهو ما تناولناه في المقدمة السالفة وأول هذه المواقف هي:

(45) قطوف شائكة في حقل الدعوة /فتحي يكن.

موقف الإصلاح من الديمقراطية والتعددية الحزبية

لا تختلف مواقف حركة الإخوان في اليمن من الديمقراطية والتعددية الحزبية عن مواقف التنظيم الدولي للإخوان والذي تبنى رأي القرضاوي في هذا الموضوع [(46)] في مخالفة صريحة لمبادئ حركة الإخوان ورأي الإمام البنا الذي كان يرى حرمة الحزبية لمخالفتها لروح التشريع الإسلامي من جهة ولما لها من آثار في تمزيق الأمة وتفرقها من جهة أخرى وسأضطر فيما يلي الى نقل أقوال الأمام البنا التي يرى فيها حرمة الحزبية والتحزب من كتابه مذكرات الدعوة والداعية حيث يقول رحمه الله:

"الإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية المصرية جميعاً قد وجدت في ظروف خاصة، ولدواعي أكثرها شخصي...

ويعتقد الإخوان كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم وعطلت مصالحهم وأتلفت أخلاقهم، ومزقت روابطهم، وكان لها في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر، كما يعتقد الإخوان أن هناك فارقاً بين حرية الرأي والتفكير والإبانة والإفصاح، والشورى والنصيحة وهو ما يوجبه الإسلام، وبين التعصب للرأي والخروج على الجماعة، والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام في الأمة... وهو ما تستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرمه أشد التحريم، والإسلام في كل تشريعاته يدعو إلى الوحدة والتعاون.

أحب أن أقول: أن الإخوان يعتقدون من قرارة نفوسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها إلا أن تنحل هذه الأحزاب كلها، وتتألف هيئة وطنية عامة تقود الأمة إلى الفوز وفق تعاليم القرآن الكريم...

(46) يقول القرضاوي متباهيا...والحمد الله تعالى أن جماعة الإخوان وتنظيمها الدولي قد تبنت هذه الفكرة (أي التعددية الحزبية)، ولم تجمد على رأي مؤسسها رغم ما تكن له وأكن له شخصيا من حب وتقدير!!) انظر 70 عاما من الدعوة والتربية والجهاد.

إن الإخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب، ويعتقدون أنها مسكن لا علاج، وسرعان ما ينقض المؤتلفون بعضهم على بعض، فتعود الحرب بينهم جذعة على أشد ما كانت عليه قبل الائتلاف، والعلاج الحاسم الناجح أن تزول هذه الأحزاب...

وبعد هذا كله أعتقد أيها السادة أن الإسلام وهو دين الوحدة في كل شيء، وهو دين سلامة الصدور ونقاء القلوب، والإخاء الصحيح، والتعاون الصادق بين بني الإنسان جميعاً فضلاً عن الأمة الواحدة والشعب الواحد، لا يقر نظام الحزبية ولا يرضاه ولا يوافق عليه!

أيها الإخوان لقد آن أن ترتفع الأصوات بالقضاء على نظام الحزبية في مصر، وأن تستبدل به نظام تجتمع به الكلمة وتتوحد به جهود الأمة حول منهاج إسلامي صالح تتوافر على وضعه وإنفاذه القوى والجهود...

فلا ندري ما الذي يفرض على هذا الشعب الطيب المجاهد المناضل الكريم هذه الشيع والطوائف من الناس التي تسمي نفسها الأحزاب السياسية؟!

ولم يعد الأمر يحتمل أنصاف الحلول، ولا مناص بعد الآن من أن تحل هذه الأحزاب جميعاً وتجتمع قوى الأمة في حزب واحد يعمل لاستكمال استقلالها وحريتها، ويضع أصول الإصلاح الداخلي العام ثم ترسم الحوادث بعد ذلك للناس طرائق في التنظيم في ظل الوحدة التي يفرضها الإسلام [47]".

هذا غيض من فيض ما قرره الإمام البنا تجاه الحزبية والأحزاب وهكذا هو موقف الإمام البنا من الحزبية وهكذا هي نظرته إلى ديمقراطية الغرب المنحرفة فقد كان يطمح رحمه الله إلى أن تتحد الأمة في كيان واحد وحزب واحد هو حزب الله الموعود بالغلبة والنصر ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56)﴾ [المائدة: 56] وهذا ما كان ينشده من تأسيسه لجماعة الإخوان لتضم أشتات المسلمين فهي بحق دعوة سَلَفِيَّة، وطَرِيقَة سُنِّيَّة، وحقيقة

(47) انظر مجموع الرسائل للإمام الشهيد.

صُـوفِيَّة، وهَيْئَـة سياسـية، وجَماعـة رِياضـيَّة، ورابِطَـة عِلمِيَّـة وثَقَافيـة، وشَـرِكة اقتصـادِيَّة، وفِكـرة اجْتِمَاعيَّة". وهي روح يسري في جسد هذه الأمة فيحييه بالقرآن".

هـذا هـو رأي الإمـام البنـا وهـذه هـي رؤيتـه قبـل أن يأتي القرضـاوي ليحـول باجتهاداتـه حركـه الإخـوان مـن حركـه شـاملة لهـا أهـدافها المحـددة والواضـحة، إلى حـزب سياسـي مثلهـا مثـل أي حـزب سياسـي في السـاحة العربيـة وذلـك بتسـويغه للديمقراطيـة والتعدديـة الحزبيـة وتبعاتهـا: فلـم يتـورع القرضـاوي أن يشـبه التعدديـة الحزبيـة بتعـدد المـذاهب الفقهيـة الإسـلامية وأن يشـبه الديمقراطيـة المنحرفـة بالشـورى الربانيـة وشـتان مـا بـين الثـرى والثـريا انظـر مـاذا يقـول في هـذا الصـدد " وقـد انتهـى اجتهـاد الإمـام البنـا إلى وجـوب حـل الأحـزاب جميعـا، وإقامـة حـزب واحـد وجبهـة واحـدة تقـوم بعـبء التحريـر والإصـلاح بـدل هـذا التشـرذم الـذي لا يسـتفيد منـه غـير الأعـداء... ومـن هنـا خـالف اجتهـادنا اجتهـاد إمامنـا الشـهيد في هـذه القضـية وقـدمنا دراسـتنا عـن مشـروعية تعـدد الأحـزاب في الدولـة الإسـلامية وقلـت في ذلـك إن تعـدد الأحـزاب أشـبه بتعـدد المـذاهب في الفقـه فكـل مـذهب لـه أصـوله ورؤيتـه... وممـا قلتـه هنـا إن الأحـزاب إنما هي مذاهب في السياسة، كما إن المذاهب إنما هي أحزاب في الفقه!! [48]".

فهـل أحـزاب لينـين ومـاركس وميشـيل عفلـق؛ كمـذاهب الأئمـة احمـد والشـافعي ومالـك وأبي حنيفـة سـواء بسـواء؟؟ وهـل يسـوغ تعـدد هـذه المـذاهب الفقهيـة تعـدد هـذه الأحـزاب الملحدة والنحل الكافرة؟؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

ولم يكـن القرضـاوي الوحيـد الـذي خـالف الامـام البنـا في تحريمـه للحزبيـة فهـذا راشـد الغنوشـي قـد شـنع علـى الامـام البنـا في هـذه القضـية وسـفه آرائـه (ثغـرات علـى الطريـق د/النفيسي ص47).

ولـن أناقـش هـذا الموضـوع مـن ناحيـة مشـروعيته مـن عـدمها – اقصـد موضـوع الديمقراطيـة والتعدديـة – فقـد تناولـه عـدد كبـير مـن علمـاء الامـة يمكـن الرجـوع إلى كتـاباتهم وآرائهـم أمـا بالنسـبة لي فـإنني اعتقـد اعتقـادا جازمـا بأنـه لا يمكـن لأي حـزب إسـلامي في أي قطـر كـان

(48) 70عاما في الدعوة والتربية والجهاد!!

يتخذ من الشريعة الإسلامية منهجا حقيقيا أن يصل إلى السلطة من خلال هذه الديمقراطية حيث سيكون هذا من سابع المستحيلات التي لا يمكن التكهن بحدوثها، إلا إذا كان هذا الحزب متبنيا للإسلام الصناعي المعدل أمريكيا الذي يناسب الذوق الغربي والنظام العالمي الجديد، ولقد تبين لكل ذي لب أن الغرب الذي صنع فكرة التعددية الحزبية وربيبتها الديمقراطية قد أحكم أمره جيدا كي لا يصعد عبر هذه الديمقراطية من لا يرغبون فيه إلى سدة الحكم فقد عملوا على وضع عدد من المقتضيات والضوابط تناسب أذواق الصناع والمصدرين ليتم قبول أي حزب أو رفضه على هذا الأساس، والسؤال هنا يا ترى علي أي أساس قبل الغربيون بالإخوان المسلمين في اليمن كحزب سياسي فاعل ومؤثر في مجريات الأحداث في البلد؟؟ هل تم قبوله في العملية السياسية كحزب إسلامي له أجندته وأهدافه الإسلامية الواضحة؟؟ أم كحزب ليبرالي منفتح مع صبغة إسلامية تتيح له فرصة الانتشار والتوسع وتنظيم قابل للثني والتطويع ومنفذ جيد لتوجيهات الصناع والمصدرين؟.

جاء في التقرير الأخير لمركز راند بعنوان "وصفة أميركية جديدة لبناء شبكات الإسلاميين المعتدلين" نقاط رئيسية يمكن من خلالها تحديد ماهيّة الإسلاميين المعتدلين (أمريكياً) وهي:

1. القبول بالديمقراطية الغربية التي تعني رفض فكرة الدولة الإسلامية التي يتحكم بها رجال الدين فالمسلم المعتدل يؤمن بأن لا أحد يملك الحديث نيابة عن الله.

2. القبول بالمصادر غير المتعصبة في تشريع القوانين وأن أهم فرق بين المسلمين المعتدلين والمتشددين هو في الموقف من مسألة تطبيق الشريعة فالتفسيرات التقليدية للشريعة لا تتناسب مع المبادئ الديمقراطية ولا تحترم حقوق الإنسان.

3. احترام حقوق النساء والأقليات الدينية: وفي هذا الصدد تشير الدراسة إلي أن المعتدلين عليهم أن يكونوا أكثر قبولاً بالنساء والأقليات المختلفة دينياً، ويرون بأن الأوضاع التمييزية للنساء والأقليات في القرآن يجب إعادة النظر فيها، نظراً لاختلاف الظروف الراهنة عن تلك التي كانت موجودة إبّان العصر النبوي الشريف.

4. نبذ الإرهاب والعنف غير المشروع: وهنا تؤكد الدراسة علي أن الإسلاميين المعتدلين يؤمنون - كما هو الحال في معظم الأديان - بفكرة " الحرب العادلة "، ولكن يجب تحديد الموقف من استخدام العنف ومتى يكون مشروعاً أو غير مشروع!".

وذكرت الدراسة جماعة الإخوان المسلمين بالاسم ووصفتها بالتقصير بالاهتمام بهذه الأشياء فكان رد الجماعة عليها سريعاً بإعلان برنامج لهم والذي يلاحظ عليه أنه ركز على موضوع المرأة والأقليات الدينية واحترام الديمقراطية، وكانت مواقف قيادة حزب الإصلاح قد كرّست جميع تلك الشروط بلا استثناء، فحدث نوع من تصريحات التوافق والتودد بين الطرفين في مقابل القبول بقيادة الإصلاح لتكون بديلاً عن النظام في حالة انتهاء صلاحيته غربيا لما لها من ثقل شعبي ولما لها من قدرة على تحجيم تنظيم القاعدة ومن يحمل فكرهم ومنهجهم!! وحزب الإصلاح هو فرع الإخوان المسلمين في اليمن والتي لا تمانع أمريكا من التحاور معها بل لقد سعت الإدارة الأمريكية إلى إحلال بعض رموزها في السلطة في بعض الأقطار كما سيأتي معنا.

وبتبني الإصلاح لهذه الأطروحات تم غض الطرف عنه غربيا واتسع صدر الديمقراطية الغربية له لا لكونه حزبا دينيا ولكن لكون دينه يحقق الرغبة الغربية ويرعى المصالح الأجنبية والمؤلم حقا أن تستمر قيادة الإصلاح في خديعة هذا الشعب الأبي الصابر بتبشيرها بمستقبل الديمقراطية الزاهر والذي لم يجن منها هذا الشعب الا المزيد من التدهور والتفرق والخراب.

فهل تظن قيادة الإصلاح من أنها بتبني هذه الأطروحات ستصل إلى السلطة وتحكم بالإسلام من خلال هذه الديمقراطية المنحرفة؟؟ وهل بلغت السذاجة بقيادة حزب الإصلاح إلى أن تصدق ادعاءات الغرب الكاذبة في نشرهم للحرية والديمقراطية؟ وهل سيصدق ذلك المسلمين في العراق وأفغانستان الذين ذاقوا الأمرين من ديمقراطية الغرب! ثم ماهية هذا الإسلام وشكله الذي سيحكمون به من خلال هذه الديمقراطية لقد عرف العقلاء من علماء المسلمين ومفكريهم بأن ديمقراطية الغرب لا يمكن أن يتسع صدرها لهذا

الدين او أن تقبل بقيام أي حزب سياسي على أساس الإسلام فضلا على أن تدعم وتؤيد هذا الحزب.

وسأكتفي هنا بإيراد شهادتين لعالمين جديرين بالنقل عنهما أما احدهما فهو يمثل الخط الأصيل لحركة الإخوان:

يقول الدكتور مُحَمَّد نعيم "وهل يظن أحد فيه مسحة من عقل ومعرفه بالكيانات الغربية وفلسفتها وتاريخها حاضرة وماضية أن الغرب بعث جيوشه وأنفق من خزانته وخزانة أصدقائه الأعراب[49] وضحى بفلذات أكباده رجالا ونساء ليرى ديمقراطية تفتح أبوابها لهذا الدين الذي يمثل عندهم خطر المستقبل الأوحد؟!!.

أو هل حقا أن الغرب الذي زرع في بلاد المسلمين نبات السوء من التسلط والاستبداد والطغيان ورعاه بالرعاية والسقاية عقودا سودا قد آلمه وخز الضمير والشعور بالذنب فعقد العزم على الأوب إلى رشده والتوبة النصوح فقرر أن ينزع ذلك النبات الحنظلي وبنفسه دون الاستعانة بأحد ليحل محله شجرة طيبة من الحرية وأخرى من الديمقراطية تكفيراً عن خطاياه؟! وهل صحيح أن الغرب قلق لما يحدث في بلاد المسلمين من غياب الديمقراطية ومصادرة الحريات ومراقبة الصحف والمجلات وأن مسألة حقوق الإنسان المسلم من أكثر المسائل التي تؤرق نومه وتعكر صفوه؟!

هل هذا صحيح وهو على علم تام بما تغص به السجون السياسية في كثير من بلاد المشرق من طلاب الحق والمطالبين بالحرية السياسية ومنذ زمن بعيد ينيف على خمسين عاماً. وأنه كان على علاقة وطيدة مع كثير من حكام تلك البلاد والقابضين على زمامها

(49) صرح الدكتور أحمد زكي يماني أن إجمالي ما يصرف على الجندي الأميركي في العراق 250 ألف دولار سنوياً، يعني: يقدر المبلغ الإجمالي لحوالي 165 ألف جندي موجودون هناك بـ 38 مليار دولار سنوياً. [الجزيرة، 101 برنامج بلا حدود، 2003/6/14م]وكلها تصرف من خزانة دول الخليج العربي فتأمل !!

بعض تلك العلاقات مفتوحة معلنه وبعضها لا يعلم بها إلا اليسير من الناس بعد علم الله تعالى؟؟!! ولو أن سؤالاً من هذه الأسئلة كان جوابه ((نعم)) إذا لأصبحت عجائب الدنيا ثماني أو تسع أو زد ما شئت"[50].

يقول الشيخ سعيد حوى رحمه الله: "إن الغربي لا يمكن أن يهضم فكرة دولة تقوم على أساس الإسلام ولا يمكن أن يهضم فكرة قيام حزب سياسي على أساس الإسلام فضلاً على أن يهضم فكرة دولة واحدة إسلامية تضم العالم الإسلامي كله، إن حس الغربي ومشاعره وعواطفه وعقله وتركيبته الثقافية والتاريخي وكل شيء فيه يكره ما له علاقة في هذا الموضوع فالمسألة بالنسبة له ليست قابلة للأخذ والرد إن هذه القضايا لا يجوز أن تغيب عن أذهاننا لأن غيابها عن أذهاننا يؤدي إلى كوارث رهيبة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73)﴾ [الأنفال: 73] والكافرون كلهم علينا في الأمور العادية وهم كما قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: 217] ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120] ولا تحتاج هذه القضية إلى شواهد من الواقع عليها فكل ما يجري في العالم الآن شاهد على ذلك".

إلى أن قال: "ومن هذا وغيره ندرك خطأ المؤمنين بالديمقراطية في منطقتنا عندما يتصورون أن أمريكا تتعاطف معهم وهي وراء اغتيال الديمقراطية في كثير من مناطق العالم، فالدول العالمية والكتل العالمية والقوى العالمية كلها ضد الإسلام في هذا العصر الذي تشابكت فيه المصالح وتقاربت فيه المسافات وازدادت فيه الوسائل وتعاظمت فيه القوى بحيث تستطيع القوى الضخمة أن تدرس وتراقب وتتجسس وتتآمر وتتفاهم فيما بينها بحيث يصعب أن يحدث شيء في خارطة العالم السياسية إلا إذا كانوا يريدونه أو يريده بعضهم والإسلام لا يريدونه ولا يريده بعضهم فهل من المعقول بالنسبة لهم مع هذا وغيره أن يرضوا أو يسكتوا عن قيام أحزاب إسلامية سياسية في العالم الإسلامي تصل بهذا العالم

(50) محمد .

إلى وحـدة إسـلامية ذات مضـمون إسـلامي صـحيح إن هـذا لا يمكـن أن يجعلـوه يمـر مهمـا كلفهم الأمر"[51]...!!

(51) جند الله ثقافة وأخلاقا الشيخ سعيد حوى.

الإسلام الإخواني الأمريكي (المعتدل)

ويتضح مما سبق أنه لا يمكن بحال من الأحوال أن تسمح الديمقراطية الغربية لأي حزب ذا مضمون إسلامي صحيح بالمشاركة في العملية السياسية هذا فضلا على أن تسمح له بالوصول إلى السلطة لمخالفة هذا الأمر للسنن الكونية والشرعية، وهذا ما يعرفه القاصي والداني لاسيما وقد حددت أمريكا مواصفات الإسلام الذي يمكنها التعامل معه [52]، فما هو شكل الإسلام الذي يريد الإخوان المسلمين تحكيمه في المجتمعات المسلمة والذي لأجله قبل الغرب بالإخوان المسلمين كحزب فاعل ومؤثر في الساحة اليمنية وغيرها؟ والجواب الفصل في المسألة سننقله من أفواه الإخوان أنفسهم فقد نعق عدد غير قليل من القيادات الفاعلة والمؤثرة في حركة الإخوان عن ماهية الإسلام الذي يسعون لتحكيمه في المسلمين وتحدثوا عن أبرز ملامحه وسأضطر هنا لنقل طائفة يسيرة من تصريحات بعض قيادات الإخوان عن هذا الموضوع لنزيح الغشاوة عن أذهان الكثير من المنخدعين بشعار الإخوان "الإسلام هو الحل" والذي رفعوه طيلة عقود من الزمن، فأي إسلام هذا الذي يعتبروه الإخوان هو الحل؟

إقرأ معي اخي الكريم هذه التصريحات، نشرت جريدة الشرق الأوسط بتاريخ [25/مايو/2005م]: **قال عبد المنعم أبو الفتوح**: "إن شعار الجماعة "القرآن دستورنا"، هو شعار عاطفي وأدبي، يعبر عن مرجعية الجماعة، ولكنه لا يعبر عن منهجها في العمل السياسي الذي تحترم فيه القانون والدستور الوضعي للدولة، مؤكداً أن الجماعة تؤمن بحقوق المواطنة، وأن الأمة مصدر السلطات[53]" ولم يكتف أبو الفتوح بتصريحه السابق، بل إنه إبان الانتخابات التشريعية المصرية التي عقدت عام 2005م، صرح في عدة قنوات فضائية أن مرجعية الإخوان هي الإسلام الحضاري: (شعار "الإسلام هو الحل" شعار حضاري، وليس

(52) انظر تقرير مؤسسة راند وصفة أمريكية جديدة لبناء شبكات الإسلاميين المعتدلين.

(53) جريدة الشرق الأوسط 2005/5/25م

شعاراً عقدياً أو دينيا) **خالد مشعل**: " ولكن نحن أصلاً حركة تحرر وطني هدفنا وأولويتنا الأساسية هي مقاومة الاحتلال وإيجاد مشروعنا الوطني جنبا إلى جنب مع بقية القوى الفلسطينية، وليس هدفنا ما يتهمونا به أسلمت المجتمع ومش أسلمت شعبنا له الحرية بالسياسة وله الحرية بالاجتماع وله الحرية بالفكر وفي التدين لا إكراه في الدين لا نفرض فكرنا ولا مشروعنا ولا برنامجنا الاجتماعي أو الفكري أو الديني على أحد ".

خالد مشعل: " مرجعيتنا الوحيدة مؤسساتنا القيادية ومصالح شعبنا الوطني ".

خالد مشعل: " أننا نرى تركيا كمثال ناجح للغاية عن الديمقراطية في العالم الإسلامي– مضيفاً – انه مثال جيد جداً بالنسبة إلينا".

"**عزيز دويك**" ممثل حماس، ورئيس المجلس التشريعي الفلسطيني: "الحكومة الفلسطينية الجديدة تحت قيادة حماس لن تجبر الفلسطينيين على تبني مبادئ الشريعة الإسلامية في حياتهم اليومية، ولن تعمل على إغلاق دور العرض السينمائي، والمطاعم التي تقدم مشروبات روحية... لا أحد في حركة حماس لديه نية تطبيق الشريعة بالقوة، هذا أمر غير وارد في برنامجنا ولن نقدم على فعله... إن أي تغيير في التشريعات الفلسطينية المعمول بها في البرلمان السابق الذي كانت تهيمن عليه حركة فتح سيخضع لاستفتاء شعبي تجسيداً لمبادئ الديمقراطية التي فازت بموجبها حماس" أهـ [رام الله، رويترز].

الدكتور صلاح البردويل: "حماس لم ولن تفكر مطلقاً في سن أي قوانين يمكن أن يُفهم منها فرض تعاليم الدين الإسلامي بالإكراه على المجتمع" أهـ [جريدة الشرق الأوسط].

حامد البيتاوي: " أما مخاوف البعض من الرجعية وفرض الحجاب وتقييد الحريات ومنها حرية المرأة مخاوف غير حقيقية، فنحن لسنا حركة ناشئة ولا حركة غوغائية، بل لنا امتداد تاريخي عبر جماعة الإخوان المسلمين المعروفة بفكرها المعتدل، وتأثيرنا في الموروث

الحضاري الفلسطيني جاء بلا أي نوع من العنف.. إن حركة حماس لا تفكر أبداً في إقامة دولة إسلامية، أو تطبيق الشريعة حالياً " [54]"!!.

خالد مشعل: "حماس لا تفرض برنامجها الاجتماعي والديني على الآخرين هي تعرض ما لديها دون أن تلزمهم دون أن تكرههم لا تلزم الناس لا تلزم النساء بالحجاب ولا تلزم الناس بمظاهر معينة".

مشير المصري: " حماس في الانتخابات التشريعية الأخيرة (2006) دعمت المرشح (المسيحي) عماد الطويل حتى فاز بعضوية المجلس التشريعي، إضافة إلى تعطيل الحكومة (حماس) العمل والدراسة في أعياد الميلاد – المسيحية – ". نشر موقع "شهود" بتاريخ (2005/5/22م): "من جهة أخرى أعلن خالد الزعفراني، العضو السابق في الإخوان؛ أنه تقدم بطلب رسمي للجنة شؤون الأحزاب للموافقة على تأسيس "حزب الإصلاح والعدالة والتنمية"، وأوضح الزعفراني – 53 عاما –؛ أن الحزب الجديد يقتدي بتجربة حزب العدالة والتنمية في تركيا، وقال؛ إنه لا يدعو إلى تطبيق الشريعة، مؤكدا أن القوانين الوضعية في مصر كافية، لأن المفترض أنها مستمدة من الشريعة، وأضاف أن الحزب يشجع على منح المرأة جميع الحقوق السياسية والمساواة مع الرجل، وأنه إذا تولى السلطة لن يفرض ارتداء الحجاب على النساء".

محسن عبد الحميد عضو مجلس الحكم الأمريكي السابق: "يجب أن تنتهي النظرة الأصولية التي تقصي الآخر ولا تعترف له بحقه في بناء الوطن".

وكيل وزارة الخارجية في حكومة غزة "الإسلام الذي نريد هو إسلام اردوغان وليس إسلام طالبان[55]".

(54) مقابلة مع صحيفة الغد الأردنية 20 /2006/2والرجل بالإضافة إلى كونه عضوا في المجلس التشريعي الفلسطيني عن حماس فهو أيضا رئيسا لرابطة علماء فلسطين.

(55) الجزيرة 17 /1431/1.

وبالمناسبة فحماس لم يعد بمقدورها الصبر على الإسلام الذي يمنع انجرارها خلف اتفاقات أوسلو وبيع فلسطين لليهود، الإسلام الذي يفرض عينية الجهاد عليها ويوجبه حتى خروج آخر يهودي من ارض فلسطين ولكنها تريد الإسلام الذي ترضي به خارطة الطريق وتقارير ميتشل وتينت الإسلام الذي يعتمده عمر سليمان وتوافق عليه الرباعية وترضى عنه الأمم المتحدة نعم هذه هي حركة حماس وهذا الإسلام الذي تريده، وتسعى إليه الإسلام الذي لم يمنعها من التعزية في بابا الكنيسة بينما في المقابل تتبرأ من تعزية بعض شرفائها في الشهيد الزرقاوي، انظر أخي القارئ إلى هذين التصريحين لحركة حماس ثم احكم بعد ذلك.

ففي تصريح صحفي نشره "المركز الفلسطيني" عن "المركز الإعلامي"، بتاريخ 2005/4/3م:

(**حماس تعزّي بوفاة البابا يوحنا بولس الثاني،** تتقدم حركة المقاومة الإسلامية "حماس" إلى المسيحيين من أبناء شعبنا الفلسطيني وأمّتنا العربية، وعموم أتباع الكنيسة الكاثوليكية في العالم، بخالص التعازي في وفاة البابا يوحنا بولس الثاني، عن عمر يناهز 84 عاماً قضى ما يقرب من ثلثها رأساً للكنيسة، وقدم فيها الكثير من المواقف المتميّزة، ودافع فيها عن كثير من حقوق الشعوب المظلومة.

إنّنا في حركة المقاومة الإسلامية "حماس" إذ نتقدم بهذه التعزية فإننا نأمل أن يظل موقف الكنيسة الكاثوليكية إلى جانب شعبنا وقضيتنا، وأن تركز جهودها في توجيه أتباعها للدفاع عن حقوق شعبنا الفلسطيني في مواجهة العدوان الصهيوني المتواصل الذي يستهدفه مسلمين ومسيحيّين في أرضه ومقدساته الإسلامية والمسيحية.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون" اهـ بنصه وحروفه.

هذه هي تعزيتهم في بابا النصارى ليظهروا بذلك تسامحهم واعتدالهم وانظر كيف تبرؤوا من بيان نعى فيه بعض الشرفاء من حماس تعزية بالشهيد بإذن الله "أبو مصعب الزرقاوي"!

جاء في تصريح صحفي نشره المركز بتاريخ 2006/6/12م:

(**حماس: لم نصدر بياناً لنعي الزرقاوي**... وندعو الجميع لتوخي الدقة،، صرّح مصدر

مسئول في حركة المقاومة الإسلامية "حماس" بما يلي: بثّت وكالة أنباء دولية خبراً غير صحيح يزعم أن حركة حماس قد وزعت بياناً ينعى "أبو مصعب الزرقاوي" وقام المكتب الإعلامي للحركة في حينه بمخاطبة الوكالة نافياً ذلك رسمياً، وقد قامت الوكالة ببث ذلك في اليوم التالي في حينه.

إننا في حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ندعو وسائل الإعلام كافة، والجهات التي تعاطت مع هذا الخبر أو بنت عليه للاستفسار المباشر من الحركة حول مثل هذه الأمور، وذلك من خلال رموزها والمتحدثين باسمها قبل التسرع إلى استنتاجات ومواقف خاطئة مبنية على أخبار غير صحيحة، خاصة في ظلّ وجود جهات اعتادت إصدار مثل هذه البيانات المزوّرة باسم الحركة" أهـ.

وصدق الله تعالى حيث يقول ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52)﴾ [المائدة: 52].

أعود وأواصل نقل تصريحات بعض قادة الاخوان في العالم عن ماهية الاسلام الذي سيحكمونه في المسلمين فيما لو وصلوا إلى السلطة لا قدر الله.

راشد الغنوشي " أنّ قضيّة تحكيم الشريعة الإسلامية ليست في برنامجنا، ولا في برنامج – حزب النهضة – حيث دلّل على هذا الأمر بإجابته عن سؤال مفاده هل ستحكمون الشريعة الإسلامية في تونس اذا ما وصلتم إلى السلطة؟ بقوله إنّ استبدال قانون بقانون ليس هو الذي يغيّر الأوضاع في داخل بلده المنكوب تونس".

ومعنى كلامه بكلّ وضوح أن تحكيم الشريعة لا يغيّر الأوضاع المتردّية في تونس، بل هو معنيّ حسب قوله بنشر الحرّية وتأمين فرص العمل للعاطلين عنه.

الجزيرة / هل تريد قيام إمارة إسلامية في اليمن؟

حميد الأحمر /على غرار حزب العدالة التركي، نعم نريد ذلك[56]!!

الدكتور مُحَمَّد السعدي /ليس لدينا الزعيم الملهم ولا المرجعية المقدسة [57]!!

والملاحظ من أكثر التصريحات السابقة والتي آخرها تصريح حميد الأحمر عضو الهيئة العليا للإصلاح ان الإخوان يعتبرون حزب العدالة التركي هو المثل الأعلى والقدوة المثلى وبالتالي فهم يسعون لمحاكاة تجربته في الحكم فمن هو حزب العدالة والتنمية التركي؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال أود ان احدد في نقاط أهم ملامح الإسلام الإخواني المعتدل من خلال التصريحات السابقة لرموز وقيادات إخوانية معروفة كما مر معنا:

1 – أنهم يريدون إسلاما لا يستند إلى مرجعية الوحيين كتاب الله وسنة رسوله لتصادمهما مع الفكر الذي يرجعون إليه.

2 – أنهم يريدون إسلاما لا يتعارض مع الشرعية الدولية وقوانين الأمم المتحدة.

3 - أنهم يريدون إسلاما لا يتعارض مع الحريات العامة وأماكن اللذة والمتعة.

4 – أنهم يريدون إسلاما يقبل بالآخر والذي يعني بالمفهوم الغربي الكافر من أي نوع ومن أي جنس والذي يعني إلغاء فريضة الولاء والبراء.

5 – أنهم يريدون إسلاما لا يتعارض مع جميع المتغيرات الجاهلية الحديثة.

وبالجملة فهم يريدون إسلاما لا يصطدم مع الواقع يرضى به الغرب عنهم يناسب الذوق الغربي والنظام العالمي الجديد، وصدق من قال فيمن يطلب رضا الغربيين.

والله لا يُبدي لك الغرب حُرمة ... ولو رحت في أذياله تتمسحُ
يقول لك الغرب المدل بنابه ... وقد جئتَ تستجدي رضاه وتمدح
مكانك ياشرقي وأرجع بذلةٍ ... فمن ذا رأى الشرقيَّ للعز يَصلح

(56) قناة الجزيرة برنامج بلا حدود بتاريخ.

(57) صحيفة الناس العدد.

ومهما سما الشرقي فالشرق نعجة   تسمن للغرب النهوم وتُذبح
فلا تلتمس عطفاً من الغرب صاغراً   ذليلاً فما يحنو القوي ويسمح
ولا تعبد الغربي جهلاً فإنما   ستكسب منه كل ذُل وتربح
ألست تراه رابضاً متربصاً   يود لو أنّ الصيد يبدو ويُمنح؟

والآن أعود للإجابة عن السؤال السابق والذي وعدت القارئ بالإجابة عليه وهو من هو حزب العدالة والتنمية التركي؟؟

فأقول مستعينا بالله تعالى:

خطوط عريضة عن حزب العدالة والتنمية

يظن كثيرون بأن حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا بأنه امتدادا لحزب الرفاه والتي هي امتدادات لنشاطات قام به الزعيم التركي الشهير نجم الدين أربكان منذ بداية سبعينيات القرن الماضي تُوِّجت بداياتها الأولى بتأسيس "أربكان" لأول حزب إسلامي شكل الواجهة السياسية للحركة الإسلامية في تركيا هو حزب "النظام الوطني" عام (1970م) وبعده وعلى خطاه تأسست عدة أحزاب إسلامية حتى عام 2001م حيث انقسمت الحركة الإسلامية السياسية في تركيا إلى اتجاهين اتجاه قديم محافظ قاده من البداية وحتى الآن "نجم الدين أربكان" وبدايته حزب "النظام الوطني" ومازال مستمراً حتى الآن في حزب "السعادة".. واتجاه جديد قاده "رجب طيب أردوغان" وهو اتجاه ليبرالي حداثي مع صبغة اسلامية وهو يتمثل في حزب العدالة والتنمية.

وقد ذكر د. رضاء الطيب في كتابة "عودة الخلافة" ما اسماه عدد من المخالفات الشرعية التي وقع فيها حزب العدالة والتي قال عنها أنها قد تصل إلى حد الكبائر وسأنقلها كما كتبها الدكتور كي يحكم القارئ بنفسه هل هي بالفعل مخالفات قد تصل إلى حد الكبائر كما يدعي؟ أم أنها كفر بواح مخرج من الملة.

انظر أخي الكريم ما كتبه د. رضاء الطيب حيث يقول: "وقد قع هذا الحزب في مخالفات شرعية كبيرة قد تصل إلى درجة الكبائر أهمها:

1 – إعلان قيادات الحزب وعلي رأسهم (أردوغان) و(جول) أن حزبهم ليس حزباً إسلامياً وأن قضية الحجاب ليس لها أولوية عاجلة وتأييدهم للمبادئ العلمانية وأتباعهم سياسة الاقتصاد الحر التي تخدم الأثرياء على حساب الفقراء؟

2- تنوع أعضائه بين الإسلاميين وغير الإسلاميين فهم مزيج من طبقات وجماعات متعددة فهناك أشخاص علمانيون وهناك إسلاميون متشددون فالحزب عبارة عن خليط من الجماعات تحالفت معاً وطبعاً لن يكون هناك اتفاق بين كل هؤلاء على كل شيء.

3- تأييد الحزب ودعمه للعلاقات مع أمريكا وأوروبا وإسرائيل وإعراضه عن التكتل الاقتصادي الإسلامي الذي كان "أربكان" قد أسسه من تحالف ثماني دول إسلامية ليكون قوة اقتصادية تحتل مكانها في عالمٍ لا يحترم إلا الأقوياء، وكان رأي الحزب في ذلك التكتل أنه غير ممكن وغير قابل للتطبيق.

4- في طريق عمله لتحقيق الشروط الأوروبية للانضمام للاتحاد الأوروبي سقط الحزب في الكثير من الفخاخ والمخالفات الشرعية التي يصل بعضها إلى حد الكبائر فقد قام الحزب بمنع الدروس القرآنية وإغلاق مدارس الأئمة والخطباء وألغى قانوناً كان يجرم الزنا واعتبره قضية سلوكية تخص صاحبها، كذلك فقد ألغت الحكومة بعض الآيات القرآنية في المدارس الرسمية ومنها ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)﴾ [الفاتحة: 7] في سورة الفاتحة حيث ألغوها من الترجمة التركية للقرآن ولم يترجموا معانيها حتى لا يغضب منهم اليهود ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] أو المسيحيون (الضَّالِّينَ) هذا ما ورده.

5- ذكرت جريدة الشرق الأوسط أن حزب العدالة والتنمية قرر في عام (2004م) عدم اعتبار الزنا جريمة مع أن هذا يعد مخالفة صريحة لنص القرآن انظر جريدة الشرق الأوسط، الجمعة الموافق: (2005/7/29) العدد: (9740).

وقد حاول الدكتور رضاء الطيب أن يثبت إسلامية هذا الحزب إلا أنه لم يفلح فقال بعد محاولات يائسة "إن حزب العدالة والتنمية حزب غير اسلامي ولكن قيادته إسلامية!!".

وبرغم أن الدكتور قد ساق أغلب المخالفات السابقة التي ارتكبها الحزب في حديثه عن علمانية الحزب الا أنه قال بإسلامية قيادته ولا أدري حقيقة كيف نفرق بين الحزب وقيادته؟ والأغرب من هذا أن يشبه الدكتور المخالفات السابقة ويتذرع بما فعله الرسول ﷺ من قبوله لصلح الحديبية.

والذي يعتبر العمود الفقري في مشروع الشرق الأوسط الكبير /2004/1م فقد نشرت جريدة "يني شفق" التركية في2004/1/30م خبراً مفاده أن الرئيس الأمريكي "جورج بوش" عرض على رئيس الوزراء التركي "رجب طيب أردوغان" خلال استقباله في

البيت الأبيض يوم (2004/1/28م) معالم المشروع الأمريكي الجديد لـ "الشرق الأوسط الكبير" الذي يمتد من المغرب حتى إندونيسيا، مروراً بجنوب آسيا وآسيا الوسطى والقوقاز، وحسب ما جاء في الصحيفة؛ فإن المشروع طبقاً لما عرضه الرئيس الأمريكي، جعل من تركيا عموداً فقرياً، حيث تريد واشنطن منها أن تقوم بدور محوري فيه، حيث تتولى الترويج لنموذجها الديمقراطي واعتدالها الديني، لدرجة أن الرئيس الأمريكي اقترح أن تبادر تركيا إلى إرسال وعاظ وأئمة إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي لكي يتولوا التبشير بنموذج الاعتدال المطبق في بلادهم، وأن هذا النموذج هو الأصلح للتطبيق في العالم الإسلامي، ومن ثم الأجدر بالتعميم لأسباب ثلاثة:

أولها: أنه ملتزم بالعلمانية التي تهمش دور الدين إلى حدّ كبير، بل وتعارض أي دور للدين في الحياة العامة.

السبب الثاني: أن تركيا تعتبر نفسها جزءاً من الغرب، وموالاتها للولايات المتحدة ثابتة ولا شبهة فيها، ومن ثم فهي تعد جزءاً من العائلة الغربية، وتحتفظ مع العالم الإسلامي بعلاقات شكلية.

السبب الثالث: أن تركيا لها علاقاتها الوثيقة مع إسرائيل، وهو الأمر الذي يلقى ترحيباً وتشجيعاً كبيرين من جانب واشنطن ودول الاتحاد الأوروبي، وقد اعتبرت امريكا أن نظام تركيا الإسلامي الحاكم الآن عبر حزب العدالة والتنمية هو نموذج مثالي يجب أن يسود العالم العربي والإسلامي، وخططت واشنطن لكي يخرج من تركيا عشرات ومئات الدعاة والوعاظ ليدعوا إلى النموذج الإسلامي التركي ومزاياه، وأن يساهموا في محو الأفكار المتطرفة السائدة في الذهنية العربية والإسلامية، ويستبدلوها بأفكار تركية متصالحة مع العلمانية.

وغير خاف أن واشنطن كانت دائماً داعمة ومؤيدة لوجود تركيا في حلف شمال الأطلنطي؛ كي تعمل كعازلٍ بين الاتحاد السوفييتي [سابقاً] وبين أوروبا والخليج العربي في عهد الحرب الباردة، ونظرت واشنطن بعد ذلك لأنقرة على أنها يمكن أن تلعب دور الموصل داخل الاتحاد الأوروبي للمصالح الأمريكية، والولايات المتحدة تعلن في كثيرٍ من المناسبات أنها تؤيد انضمام تركيا لعضوية الاتحاد الأوروبي؛ لأنها تعتبر النموذج الإسلامي

في تركيا الأفضل والأمثل في العالم الإسلامي، وترغب في تقوية ودفع هذا النموذج العلماني لكي يهيمن على المنطقة والعالم العربي والعالم الإسلامي.

واستناداً لتقارير نشرتها بعض الصحف التركية خلال الأيام الأخيرة، فإن مسئولين من السفارة الأمريكية في أنقرة، قاموا بزيارات إلى بعض الجماعات الإسلامية والمؤسسات الخيرية لدراسة مدى شعبية ونفوذ كل جماعة، وتشير المصادر نفسها إلى أن الأمريكيين يعرضون على زعماء الجماعات التي يزورونها التعاون الاستراتيجي في نشر ما يسمى بـ "الإسلام المعتدل" في إطار مشروع الشرق الأوسط الكبير، وتقديم الدعم المادي والسياسي لجماعاتهم، وفتح مجال الدراسة لطلابهم في الولايات المتحدة. وفي تطور آخر زار رئيس الشؤون الدينية التركية "علي بارداك وغلو" واشنطن في نهاية الشهر الماضي، وذكرت مصادر صحفية أنه بحث مع الأمريكيين خلال زيارته سبل التعاون في تعميم النموذج التركي، وطلب منه الأمريكيون خططاً ملموسة بهذا الشأن.

ويبدو أن الأمريكيين اختاروا رئاسة الشؤون الدينية التركية للتعاون في صناعة ما يسمونه بـ "الإسلام المعتدل"، لخبراتها وتجاربها في إماتة الروح الإسلامية الفعالة وضبط المشاعر الدينية كمؤسسة رسمية خاضعة لنظام علماني، وتسيطر على كافة الشؤون الدينية في البلاد كالإفتاء وتعيين الأئمة والخطباء للمساجد ومدرسي القرآن وغير ذلك والولايات المتحدة تريد أن يمارس المسلمون دينهم، وأن يذهبوا إلى مساجدهم، ويعبدوا الله بشرطٍ واحدٍ: هو الفصل بين الدين والدولة، وهو النمط القائم في الولايات المتحدة نفسها، ولكنه غير قائم في العالم الإسلامي سوى في تركيا، وواشنطن ترى أنه لو نجحت التجربة الإسلامية التركية، وانتشرت في العالم الإسلامي؛ فإن مستقبل الأحزاب الإسلامية سوف يصبح كمستقبل الأحزاب المسيحية في ألمانيا ودول أوروبية أخرى؛ فهذه الأحزاب بدأت كأحزابٍ دينيةٍ، وانتهى بها الأمر إلى أن أصبحت أحزاباً معتدلةً لا يكاد الدين يصيغ توجهاتِها.

كما ترغب واشنطن أن تكون تركيا غطاءً لإسرائيل، ليقوم الطرفان بقيادة التغيير في العالم العربي والإسلامي؛ حتى تختفي الحساسية ضد الصهاينة لو دخلوا هذا المعترك وحدَهم

وكل هذه العوامل أسرعت بالدفع بخيار الحوار مع الإسلاميين المعتدلين في المنطقة إلى المقدمة، ونموذج حزب العدالة والتنمية التركي بزعامة رجب طيب أردوغان في طبعته العربية هو ما تحلم به الإدارة الأمريكية لتسييده في المنطقة ومن هنا.

عندما قررت حكومة حزب العدالة والتنمية تعديل قانون الأحوال الشخصية لتجعل جريمة الزنا جرما يعاقب عليه القانون، لم يعترض العسكر وإنما أوروبا، إذ أعلنت أوروبا بوضوح وعلى لسان المفوضية الأوروبية وغيرها من الساسة البارزين أن إقرار هذا القانون يضر بتركيا ويؤخر عملية انضمامها إلى النادي الأوروبي.

هذا التجريم هو برأي صانعي قرار النادي الأوروبي أمر عفا عليه الزمن ولا ينسجم مع قيم ومثل أوروبا الحديثة، فأوروبا الحديثة لا ترى في المعاشرة الجنسية ضيرا ولا ترى أن المجتمع التركي يجب أن يعارضها لأن معارضته تثبت أنه بعيد عن قيم أوروبا ومثلها.

لقد اختارت أوروبا أن تطرح الدين -كما ترى- جانبا، وعلى تركيا فعل الشيء نفسه لكي تستحق ما هو أقل من الدخول في أوروبا أي مجرد الخطو باتجاه البوابة الأوروبية.

ماذا جنى المسلمون من ديمقراطية الغرب؟؟

أعود وأسأل قيادة الإصلاح عن ماهية الإسلام الذي يريدون تحكيمه في المجتمع اليمني من خلال ديمقراطية الغرب؟؟، وان كان الجواب على هذا السؤال معروف سلفا الا أنه لابد ان يسأل، فكل المؤشرات تدل على إن الإسلام الذي يريدون تحكيمه هو الإسلام التركي الأردوغاني وهذا ما يقوله قيادة وأعضاء الإصلاح ويصرحون به وآخر تصريح في ذلك تصريح حميد الأحمر لقناة الجزيرة السالف الذكر.

ثم ما هو شكل هذه الديمقراطية التي يريد الغرب تعميمها على المسلمين ولو بقوة الحديد والنار؟ وماذا جنى منها المسلمون؟ وما هي مكاسبهم؟ لقد كشف الرئيس الأمريكي بوش أهداف أمريكا من الحرب على العراق عندما وقف خطيباً في الكونجرس الأمريكي، أمام تجمع يضم كبار الشخصيات الصهيونية "اليهودي والمسيحية" فيما يسمى حال الاتحاد اليهودي المسيحي في 29 يناير عام 2002مـ فقال: "وعلى الرغم من أنّ الحرب في أفغانستان توشك على نهايتها، فإن أمامنا طريقاً طويلاً ينبغي أن نسيره في العديد من الدول العربية والإسلامية، ولن نتوقف إلى أن يصبح كل عربي ومسلم مجرداً من السلاح، وحليق الوجه، وغير متدين، ومسالماً، ومحباً لأمريكا ولا يغطي وجه امرأته نقاب، وأنني مصمم على استخدام جميع مواردنا لتحقيق ذلك قبل انتخابي لفترة رئاسية ثانية".

وأضاف: "وقد حان دورنا كما قال رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير دعونا نعيد تشكيل العالم ليصبح على صورتنا وهكذا، وبفضل إلهنا سنقوم نحن شعوب العالم من الجنس الأبيض المتحضر، بفرض معتقداتنا الرزينة والودودة والتحريرية على عالم جائع لأموالنا ورسالتنا، ولن يخضع الرجال بعد الآن لشرط إطلاق اللحى ولن تخضع النساء لشرط تغطية وجوههن وأجسادهن، ومن الآن فصاعداً يحق للعالم تناول الخمر والتدخين وممارسة الجنس السوي أو الشذوذ الجنسي، بما في ذلك سفاح القربى واللواط والخيانة الزوجية والسلب والقتل وقيادة السيارات بسرعة جنونية، ومشاهدة الأفلام والأشرطة الخلاعية داخل فنادقهم أو غرف نومهم، وبالنسبة لشركاتنا التي تنتج مثل هذه المنتجات

فسيحق لها الوصول من دون أي عقبات للدول المتخلفة التي منعت تلك الحريات عن شعوبها "حرب العراق" وهكذا انكشف عوار حضارة الغرب وديمقراطيتهم باحتلال بلاد المسلمين إثر اختلاق أسباب واهية ضللوا- ولا يزالون- من خلالها العالم كله، من نحو نزع أسلحة الدمار والإطاحة بالأنظمة الديكتاتورية وإتاحة الفرصة لحكومات ديمقراطية والسعي لرفاهية تلك الشعوب المسلمة المغلوبة على أمرها والعمل على أن تنعم بالحرية.. وتهاوت مدنيتها ورقيها في أبشع صورة باستخدامها هي- في إهلاك الحرث والنسل- ما جاءت لحماية الشعوب منه من قنابل عنقودية وفسفورية وسامة وحارقة وبيولوجية وكيماوية الخ وبكميات تقدر بآلاف الأطنان، وبتوفير غطاء لغطرسة ربيبتها إسرائيل، وبمحاولاتها اليائسة في القضاء على الوجود الإسلامي، وبنشرها العري والفساد والزنا والمسكرات والبلطجة والخنا، وبممارستها لكل أساليب البطش والأعمال السادية، وبفرضها حكومات صورية تخدم مصالحها وسياسات قمعية تكشف عن أطماعها ومناهج وضعية تبين عن نواياها في بسط سيطرتها وعقيدتها في بلاد المسلمين... انكشف عوار حضارة الغرب بإذلال العجائز والمستضعفين من المسلمين في العراق وغيرها وبقتل الأطفال وباغتصاب المحصنات الغافلات.. وتهاوت مدنيتها ورقيها في سجن أبو غريب ومستشفيات الفلوجة وتحت معاول المعترضين على سياسة قادتها والشاهدين من أهلها على جرائمها من العسكريين والخبراء والساسة القدامى من الأمريكيين والبريطانيين... انكشف عوار حضارة الغرب بقتل الجرحى العزل داخل دور العبادة وبهدم المساجد وإكراه الناس على اعتناق المسيحية التي المسيح منها براء.. وتهاوت مدنيتها ورقيها بترك الجرحى عمدا ينزفون وبدك المستشفيات على من فيها وبمنع جهود الإغاثة من أن تصل إلى مستحقيها قبل أن يقضوا نحبهم.. انكشف عوار حضارة الغرب بالمروق من الاتفاقيات المبرمة في (لاهاي) في سنة 1907 و(جنيف) في سنة 1929، 1949، 1977 وكلها قد أقرتها المنظمات الدولية وكلها تقضي بحظر قصف المناطق السكنية وانتهك دور العبادة والأماكن التاريخية (الغارة).

ولقد كشف بوش في خطاباته شكل الديمقراطية التي يريد، وما هي الحرية التي يهدف نشرها في العالم الإسلامي، إنها الفوضى والإباحية، ومحبة أمريكا ورذائلها، وتغيير المناهج

الدينية لتكون في خدمة مخططاتها في المنطقة، ونشر انحطاطها الخلقي، والاعتراف بدولة اليهود المغروسة في قلب العالم الإسلامي.

فعن الديمقراطية الموعود بها الشعب العراقي يقول بوش في خطابه يوم 29 يناير 2002م أمام ما يسمى بحال الاتحاد المسيحي اليهودي: "أبلغكم بأنّ النساء الأفغانيات تخلين عن براقعهن إلى الأبد، وأن الفتيات الأفغانيات رجعن إلى المدارس ليطالعن كيف ظفرنا بالغرب الأمريكي، وأن رمز الحضارة الغربية الثقافي الأكثر أهمية وهو التليفزيون عاد للحياة الأفغانية، والأفغان سعداء الآن، وأحرار في التنقل في أنحاء بلادهم لزراعة الأفيون، ويجب على الأمريكيين والأطفال الأمريكيين على نحو خاص الشعور بالفخر بكرمهم المتمثل في إرسالهم المال والطعام إلى أفغانستان، ومما يثلج صدري أن أرى الأطفال الأفغان وهم يستمتعون بأطعمتنا المفضلة، وهي: زبدة الفول السوداني والجلي والبسكويت العقدي". (من كتاب الحرب على العراق).

وهكذا كانت قصة احتلال العراق وهكذا كانت هدية الغرب للعراق ديمقراطية تمر من خلال أكفان الموتى وتعبر فوق أشلاء الضحايا وماذا تعد؟

ثلة حديثة الصنع جاءت فوق حاملات الطائرات الغربية وعلى متن دبابات الجلادين ليعجن منها كعكة الديمقراطية الشهية دقيقها وبيضها وسكرها عمالة وخيانة واسترزاق على حساب الدين والشرف وماذا في جعبة هؤلاء الديمقراطيين الأجراء؟؟ تيارات وفكر واتجاهات يضرب بعضها بعضا قد اجتمع فيها كل ضد وكل نقيض هذا شيوعي وذاك قومي وآخر علماني وآخر إسلامي ليس مهما هذا التناقض بل هو مقصود الديمقراطية الأعظم في بلاد الشرق وأنه ارتفاع لأصوات الباطل وصيحات الفرنجة ونداءات العلمنة والقفز فوق أسوار الحدود والحرمات ولكن بقوة النظام العالمي الجديد وسلطان القانون الحديث.

لعله قد بدا واضحاً لكل ذي عينين إفلاس الحضارة الحديثة التي تدعي لنفسها التقدم والمدنية والحرية والديمقراطية والرقي ومواكبة العصر إلى آخر هذه الشعارات البراقة، إزاء تلك الهجمات التترية التي يشنها مغول هذا العصر على المدنيين العزل وانتهاك حرماتهم وحرمات

مساجدهم وإمطارهم بالقنابل المحرمة.. لعله قد بدا كيف قامت حضارتهم- كما هو العهد بهم منذ قديم الزمان- على الاستعمار والأكاذيب والأضاليل وقلب الحقائق بعد أن جعلوا من المقاومين لكل احتلال متمردين، ومن المدافعين عن كل عرض ووطن إرهابيين والذابّين عن شريعة ربهم متطرفين، وبعد أن جعلوا من كل غاز يريد فرض عقيدته وزائف ديمقراطيته على المسلمين بطلاً، ومن كل أثيم يسلب أرضاً أمّنها الله أو يعذب نفساً عصمها الله أو ينتهك عرضاً حرمها الله مغواراً. (الغارة على العالم الإسلامي).

الإصلاح والغرب اتفاق أم اختراق

هذه هي ديمقراطية الغرب وهذه هي الديمقراطية التي يريدون ما يريدونه من المسلمين يقول الشيخ سعيد حوى رحمه الله "ويلاحظ بشكل واضح أن خطة أمريكا في العالم الإسلامي استبعاد الديمقراطية إلى أقصى حد، لأن الديمقراطية لصالح الإسلام مع كونها ليست من الإسلام.... ومن هذا وغيره ندرك خطأ المؤمنين بالديمقراطية في منطقتنا عندما يتصورون أن أمريكا تتعاطف معهم وهي وراء اغتيال الديمقراطية في آسيا وأمريكا اللاتينية وغيرها من العالم ".

ولا زلنا نتذكر جميعا ما حصل بالأمس القريب كيف وقف الغرب وعلى رأسهم أمريكا وراء اغتيال الديمقراطية التي أفرزت جبهة الإنقاذ في الجزائر؟ وحركة حماس في فلسطين المحتلة تارة بإلغاء النتائج وتارة بالفوضى الخلاقة، مما يؤكد إن أمريكا والغرب عموما لا يرضون من الديمقراطية إلا ما وافق مصالحهم وأهواءهم يشهد على ذلك سماحهم لحزب العدالة التركي بالوصول إلي السلطة في تركيا؟ وتمكينهم للإخوان المسلمين في العراق ليصبحوا على رأس السلطة والمسؤولية؟ وإحلالهم شيخ شريف في الصومال لإجهاض المشروع الجهادي المتنامي هناك واستخدامهم رباني وسياف في أفغانستان وكيف يقف الغرب مع هؤلاء ويؤيدهم ويدعمهم؟؟ وعلى أي أساس يكون هذا الدعم والتأييد؟؟

الجدير بالذكر أن حزب الإصلاح لا يختلف عن هذه التنظيمات من حيث تبنيه للأطروحات الغربية واعتزازه بالقيم الأوربية واعتداد أمريكا به باعتباره حليفا يمكنها الاعتماد عليه يظهر ذلك واضحا جليا من خلال مواقفه سواء المعلن عنها أو ما تحيطه السرية والكتمان أو من مواقف الغرب المؤيد والداعم لحزب الإصلاح وفيما يلي قراءة في مواقف الإصلاح خصوصا تلك التي ظهرت على السطح بعد أحداث سبتمبر وبعد أن أطلق بوش كلمته الشهيرة (من ليس معنا فهو مع الإرهاب) وقد رأينا بعد تلك الأحداث الكثير من التخبط في كثير من المواقف والتوجهات التي رافقت مسيرة الإصلاح في الفترة الأخيرة وما ذلك إلا نتيجة لاحتلال سدنة الفكر العقلاني المنحرف لمواقع قيادية مهمة وسيطرتهم على

مواقع صنع القرار في التنظيم واستئثارهم بتمثيل التنظيم والتحدث باسمه وهو ما قد يجعله عرضه للسقوط والانهيار كغيره من المشاريع النهضوية القومية التي لفظت أنفاسها وأصبحت في خبر كان نتيجة لإفلاسها القيمي وابتعادها عن هموم الأمة وعقيدتها ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة: 52] ولقد أصبحت قيادة الإصلاح تجاهر بعلاقتها مع الولايات المتحدة والغرب عموما وهي علاقات مشبوهة وتدعو إلى الريبة في نظر الكثيرين من المحللين والمتابعين فقد سجلت قيادة الإصلاح في الفترة الأخيرة ولاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر الكثير من المواقف التي تصب في خدمة الأجندة والمخططات الأمريكية في المنطقة وحطمت الرقم القياسي على غالبية القوى السياسية في البلد باستضافتها وزيارتها المتكررة والمتبادلة مع السفارة الأمريكية والمعاهد والمنظمات التابعة لها وكلها توحي بحسب محللين بان الولايات المتحدة الأمريكية قد بدأت تقتنع بالفعل بالإصلاح كحزب ليبرالي منفتح وتجعله في قائمة الخلفاء للنظام الحاكم وهو ما يؤكده العديد من قيادة الإصلاح وعلى رأسهم اليدومي في لقاءاته الخاصة مع أفراد التنظيم.

وبحسب محللين فإن قيادة الإصلاح قد نجحت نجاحا ملحوظا في تنفيذ حزمة من المطالب والإصلاحات الأمريكية وقامت بتنفيذ عدد من الاشتراطات مما جعلها تفوز بالرضا الأمريكي كقيادات إسلامية معتدلة واستطاعت تلك القيادات بالفعل بان تثبت إن الإصلاح يسير بخطى ثابتة على نهج حزب العدالة التركي والذي تعتبره الولايات المتحدة نموذجا للإسلام المعتدل ويمكن رصد ذلك من خلال التالي:

حوار الإصلاح مع الغرب من أجل الأمة!!

لا شك ان قبول الإصلاح بالحوار مع الغرب في الوقت الذي تدك جيوشهم بلاد المسلمين أمر له ما بعده جريمة كبرى فما إن أطلق الغربيون دعوتهم مع من أسموهم بالمعتدلين من الحركات الإسلامية الا وسارعت قيادة الإصلاح بالترحيب بها ولقد كان هذا الترحيب الإصلاحي صدمة لتطلعات وآمال كثير من الشباب المسلم الغيور وخصوصا أعضاء الإصلاح ومبعث قلق في الوقت نفسه لدى كثير من الكتاب والساسة وعلى رأس هؤلاء الرئيس الذي أصبح من المؤكد لديه بأن قيادة الإصلاح تسابقه بالفعل للحصول على الرضا الأمريكي وتقدم نفسها بديلاً عنه وقد أبدى حزب المؤتمر الحاكم والرئيس علي عبد الله صالح تحديدا انزعاجاً شديداً من العلاقة المتنامية بين الإصلاح والولايات المتحدة ممثلة بسفارتها في صنعاء، عبر عنها أكثر من مرة في خطاباته التي تناول فيها المعارضة ومنها قيادات الإصلاح، واصفاً إياهم بالمتسكعين على أبواب السفارات الأجنبية (58)".

وقد استغل الحزب الحاكم هذا الموقف للتشنيع على حزب الإصلاح من خلال العديد من المواد الإعلامية في صحفه ومواقعه الإلكترونية، ما جعل قيادة الإصلاح توعز لأحد رموزها الإعلامية بالدفاع عن موقفها هذا فكتب ناصر يحي احد رموز الإصلاح الإعلامية ورئيس تحرير صحيفة الصحوة السابق سلسلة مقالات في صحيفة الصحوة بعنوان **الحوار بين الغرب والحركات الإسلامية** والذي صب جام غضبه فيها على المشنعين على الإصلاح والمنتقدين له في حواره مع الغرب ومنها هذا المقال الذي يحمل عنوان، **لكي يكون حوار من أجل الأمة**، سننقل منه المقتطفات التالية:

[ما يثير الحزن ليس مواقف أنظمة عربية غارقة في الاستبداد والشمولية بل مواقف بعض وسائل الإعلام الرسمية في بلادنا التي صورت الترحيب الإصلاحي بالدعوة الأمريكية –الأوربية إلى الحوار وكأنه خيانة ومؤامرة وخروج على الثوابت الوطنية والإسلامية].

(58) خطابات رئيس الجمهورية اثناء الانتخابات الرئاسية 2006

[وكما كانوا يقولون هل أسلم الاشتراكي أم كفر الإصلاح؟ هاهم الآن يقولون هل اهتدت أمريكا أم ضل الإخوان؟ ولو كانوا منصفين مع أنفسهم صادقين مع سلطتهم المؤتمرية لفرحوا بأن الغرب يدعوا إلى الحوار.. فلا يوجد في اليمن ما يستدعي أن ينزعج المؤتمريين من الدعوة الغربية إلى الحوار والترحيب بها.. فالتجمع اليمني للإصلاح ليس غريبا في المجتمع اليمني –والحوارات بينه وبين الأمريكيين والأوربيين الرسميين وغير الرسميين قائم منذ زمان].

[ليس من المعقول أن يحجر الإخوة المؤتمريون على الآخرين الاتصال بممثلي الدول الأجنبية ووفودها الرسمية وغير الرسمية.. فطالما أنها تهيئ نفسها للوصول إلى السلطة ديمقراطيا فمن حقها إن تقيم علاقات وحوارات مع الدول التي تقيم علاقات مشروعة مع بلادنا].

[ألا فليفهم الجميع أن الوطنية ليست حكرا على أحد وهؤلاء الذين يشككون في وطنية الإصلاح لأنهم يتحاورون مع الأمريكيين والأوربيين هم أنفسهم متهمون عند المؤتمر بأنهم يسيئون لوطنهم من خلال مراسلتهم الخارجية وبعضهم يندد بالإصلاح متهما له بأنه يتردد على أبواب السفارات الأجنبية وهو نفسه كان إلى قبل سنوات قليلة جداً يعمل في خدمة مخابرات أجنبية للإضرار ببلده][59].

هكذا كان دفاع ناصر يحي عن قيادته في حوارها مع الغرب وفي تقديري أنه دفاع ساذج وتبرير مفضوح وذرا للرماد في العيون لسبب بسيط جدا وهو كيف يكون هذا حوارا من أجل الأمة يا ناصر يحي؟ والأمة تذبح ويهتك عرضها على يد من تعد الحوار معهم من أجلها أتدري في هذا الوقت الذي تتبجح فيه بهذا الكلام ما صنع الغرب وماذا فعل جنودهم في العراق.

(59) صحيفة الصحوة العدد(973)الخميس 12/مايو/2005م.

في هذا الوقت يا ناصر يحيى اغتصبت عبير الجنابي، تناوب عليها خمسة ممن تعتبر التحاور معهم من اجل الأمة، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بإحرقها ووالديها بعد ان ربطوهم وكمموا أفواههم.

في هذا الوقت يا ناصر يحيى الذي تدعو الناس فيه للفرح لقبول الغرب بالحوار معك ومع قادتك، قام جنود الاحتلال الأمريكي والبريطاني في كل أنحاء العراق – تقريباً – وبصفة شبه يومية – بارتكاب عشرات الآلاف من جرائم التعذيب الوحشي للسجناء العراقيين، واغتصاب النساء، بل والاعتداء الجنسي على الرجال والأطفال أيضاً تحت تهديد السلاح. ويتم التعذيب المروع بكل ما لا يتخيله حتى الشيطان، ومنها العصي المكهربة والسياط والكلاب البوليسية وهتك العرض والاغتصاب اليومي والتعليق من الأيدي والأرجل كالذبيحة وإطفاء السجائر في الفم والدبر.

في هذا الوقت كانت الطائرات والبوارج الحربية الأمريكية تقصف معظم المدن والقرى الأفغانية عشوائياً، حيث دفنت مئات الألوف من سكانها أحياء تحت الأنقاض، فضلاً عمن مزقتهم القنابل والصواريخ " الذكية " المزعومة، وما هو إلا "الذكاء الإجرامي" في تحويل أجساد الأطفال والنساء والعجائز إلى أشلاء لا سبيل إلى التعرف على هوية أصحابها!!

في هذا الوقت يا ناصر يحيى تم تسليط الكلاب المدربة على التهام الأعضاء الذكرية لـ 300 معتقل في سجن أبو غريب بعد فتح أرجلهم عنوة عبر قيود حديدية في أيديهم وأرجلهم مثبتة **في** الحائط ووفاتهم على الفور.

في هذا الوقت ظهرت الجريمة البريطانية التي ارتكبها بعض العلوج البريطانيين في حق صبية ضربوهم بوحشية حتى الموت، بعد أن استاقوهم إلى ملاذ ظنوه آمناً من العيون، فإذا به يظهر الفضيحة البشعة على رؤوس الأشهاد ليراه العالم كله.

في هذا الوقت الذي تتحاورون فيه مع الغرب يا قيادة الإصلاح تم إجبار المعتقلين على اللواط والإتيان بحركات جنسية مهينة وهم عراة ليتم تصويرهم على أنهم همج، و دهسهم أحياناً بالأحذية العسكرية على الرأس والرقبة والأماكن المجروحة، وتقييد بعضهم

وربطهم بالأسرة وهم عراة وحرمانهم من الطعام الشراب لساعات طويلة، وتعليق البعض منهم لعدة ساعات لإجبارهم على الإدلاء باعترافات كاذبة، والتبول على أجساد بعضهم العارية وجراحاتهم، ووضع حبال حول رقاب بعضهم وجرهم بها كالكلاب، وحلق رؤوس عراقيات وضربهن وإجبارهم على المبيت في الماء وعلى عدم النوم والوقوف لمدد طويلة أحياناً ووفاة العديد منهن بعد اغتصابها أو اغتصابه.

في هذا الوقت كان جنوداً أمريكان قد طلبوا من امرأة عجوز أن تمشي على هيئة حمار وركب أحدهم على ظهرها، وفيه تم إدخال سجينات عراقيات عاريات على سجناء عراقيين عراة كذلك، وفيه أيضا تبول بعض البريطانيين على وجه سجين عراقي مغطى الرأس.

وفيه ويا للعار قام جندي بريطاني بعملية قذف حيواناته المنوية داخل فم سجين آخر وفي هذا الوقت يا ناصر يحيى كان مصرع 60 طفلاً عراقيًا بعد تقطيع أطرافهم أمام أمَّهاتهم في سجن 'أبو غريب'، وكذلك وفاة العديد من النساء العراقيات بالصدمة بعد إطلاق الكلاب للتحرش الجنسي بهن.

وفي هذا الوقت حدثت مأساة فاطمة العراقية التي ذكرت في رسالة أرسلتها قبل أن تستشهد أنه في يوم واحد اغتصبت تسع مرَّات مع الإجرام في التعامل معها في اغتصابها وإجبارها على التميع للعلوج الأمريكان في حالة اغتصباها، وهي تتأبى وترفض وكذلك الحال في قصة نور العراقية التي أرسلت رسالة قبل كتابة مقالاتك هذه بشهرين فقط تقول فيها نرجوكم هاجموا السجن بكل ما تملكون من أسلحة... دمروا السجن واقتلونا معهم (مع الأمريكيين)... بالله عليكم افعلوا هذا؛ لأن بطوننا امتلأت بأولاد الزنى.

وفي هذا الوقت التي تتحاور قيادتك مع الغرب وقبل كتاباتك هذه بأيام قليلة كشفت شبكة البصرة على الإنترنت النقاب عن وقوع 149 حالة اغتصاب حدثت داخل مساجد الفلوجة وحدها. حتى المساجد لم تسلم من نتنهم يا أستاذ ناصر في الوقت الذي تتحاورون معهم من اجل الأمة!!

وفي هذا الوقت الذي تتحاور أنت وقادة حزبك مع الغرب حدثت واقعة مفادها أن الجنود الأمريكيين قاموا بفتح أبواب دار للأيتام، وطُلب من الأطفال الخروج منها، قبل أن يقوموا باغتصابهم، حيث سجلت 75 حالة اغتصاب لفتيات وأطفال صغار، و80 حالة اغتصاب لبالغين.

وحتى لا تتهمني بالمبالغة فأكثر هذه الحوادث والانتهاكات ذكرتها منضمات حقوقية غربية وعربية بل ان لدى جريدة نيويورك تايمز الأمريكية ما يزيد على ألف صورة بشعة عما تم اقترافه في حق شعبنا المسلم في العراق وهذا جزء من 100 ألف حالة تعذيب أكدتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان وأظهرتها عدسات الكاميرات وتناقلتها جميع وكالات الأنباء ووقف عليه العالم كله، وما خفي كان أعظم وحدث كل هذا وأكثر من هذا بكثير، فماذا أقول بعد هذا!!

أبعد كل هذا يأتينا ناصر يحيي وقيادة حزبه ليقنعونا بأن حوارهم مع الغرب من أجل الأمة!! أبعد هذا تدعونا للفرح بحواركم معهم؟ أي أمة هذه التي يتحدثون عنها؟؟ إني أسألكم بالله أي أمة هذه التي تتحاورون معهم من اجلها، أمن اجل امة الإسلام؟ لا ورب الكعبة، فأمة الإسلام يتمرغ انفها أمام أعينكم في تراب أبو غريب وجونتنامو وبغرام، ولكن الأمة التي تتحاورون معهم من أجلها هي أمة الصليب وكفى، نعم امة الصليب المظلومة في نظركم والمعتدى عليها في أيلول سبتمبر كما يقول قرضاويكم وهكذا لتظهروا لهم اعتدالكم وتسامحكم وحسن سياستكم، ألا لعنة الله على السياسات والحوارات والولاء لليهود والنصارى، يا ناصر يحيي إننا لن نقول هل اهتدت أمريكا ام ضل الإخوان؟ ولكننا نقول بل ضلت أمريكا وضل الإخوان! ووالله ثم والله ما لجأت أمريكا للتحاور معكم وفي هذا الوقت تحديدا ألا لتمنحوا الشرعية لأفعالها البشعة في العراق وأفغانستان، وقد فعلتم مع الأسف ولن نعتب عليكم موقفكم هذا فإخوانكم في الضلالة – اعني الحزب اللاإسلامي العراقي – وقيادته المجرمة قد صنعوا ما هو أقبح وأشنع.

وكان حري بك والله أن تتقي الله تعالى ولا تنصب نفسك مدافعا عن الشيطان واذكر قول الله تعالى ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67)﴾ [الزخرف: 67]

نعم لم نعرف عن قيادة الإصلاح إلا تهافتها وعجزها ومحاولات الاستجداء وطلب الرحمة أمام ممارسات الغربيين سواء ما حدث في سجون أبو غريب وجونتنامو أو ما حصل من تدنيس للقرآن في جونتناموا أو حتى أمام الرسوم الدنمركية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم حين وقفت قيادة الإصلاح بكل ثقلها ضد العلماء الذين احتسبوا ضد الصحف التي أعادت نشر الرسوم المسيئة بل وتولى رئيس المكتب القانوني للإصلاح مهمة الدفاع عن هذه الصحف أمام المحاكم ودعا إلى محاكمة هؤلاء العلماء وعلى رأسهم الزنداني لجمعهم أموال غير قانونية لهذه القضية حسب ادعائه.

بل لقد وقف احد أعضاء الإصلاح في مجلس النواب وأمام كل هذه الممارسات الغربية المسيئة للأمة ولدينها فقد وجدت قيادة الإصلاح متسع من الوقت أن تدين البطل المغربي الذي قام بقتل المخرج الهولندي "فان جوخ" مخرج فيلم "الخضوع" الذي أنتجته الهولندية من أصل صومالي "حرسي علي" والذي قدمت فيه نساء عاريات كتب على أجسادهن العارية آيات من القران الكريم حيث قامت قيادة الإصلاح بإدانة هذا البطل الذي أراد الانتقام لكرامة الأمة المهدورة بصفة رسمية من خلال كلمة الصحوة العدد (975) الصادرة بتاريخ 26 /مايو/2005م هكذا عودتنا قيادة الإصلاح على هذه المواقف المخزية في القضايا المصيرية للأمة ودعوني اسأل ناصر يحيى إذا كان الحوار بين الغرب والإصلاح قائم منذ زمن كما تقول؟ فلماذا لا تتفضل وتخبرنا عن ماهية النقاط التي يتحاورون حولها؟ أم أنك تخادعنا بهذا الكلام لكي تبعد تهمة التحاور مع الغرب عن قيادة حزبك لوقوعه في وقت هذه الهجمة الشرسة على الأمة حتى لا تتهم بكونها جزء من المؤامرة على الأمة، وكان حري بناصر يحيى أن يعترف بأن الحوار مع الغرب وفي هذا الوقت تحديدا جريمة عظمى في حق الأمة وجزء من المؤامرة عليها وكان الأولى بك أن تدين هذا الفعل بدلا من دعوتنا للفرح به فعلى أي شيء نفرح، واني للفرح أن يجد طريقا إلى قلوبنا.

والغريب أن يأتي هذا الترحيب الإصلاحي بهذه الدعوة في الوقت الذي تدك فيه الآليات العسكرية الغربية بلاد المسلمين.

الإصلاح والحرب على الإرهاب

قدم الإصلاح نفسه كشريك للولايات المتحدة الأمريكية في مكافحة ما يسمى الإرهاب ولم تأل قيادته جهداً في إصدار بيانات الشجب والاستنكار والتعازي التي تبعثها بين الحين والآخر سواء في قتلى الحادي عشر من سبتمبر أو ما بعد ذلك من عمليات قام بها تنظيم القاعدة الذي تصفه قيادة الإصلاح بأنه يشوه الوجه الحضاري للإسلام [(60)].

وأكدت قيادة الإصلاح تمسكها بالنضال السلمي حتى في حالات الاحتلال كما فعل الإخوان المسلمون في العراق ومشاركتهم في مجلس الحكم الانتقالي الذي يديره الحاكم المدني الأمريكي "بول بريمر" والذي شكله الاحتلال وشارك فيه عدد من التيارات العلمانية والشيعية بالإضافة إلي الإخوان المسلمين وهو الأمر الذي لاقى قبولاً واسعا لدى قيادة الإصلاح في اليمن إذ أصدرت الأمانة العامة للإصلاح تعميماً داخليا لكافة الوحدات التنظيمية يقضي بتأييد الإخوان المسلمين في العراق وتحذير أفراد التنظيم من الانجرار خلف أي رأي يخالف توجهات القيادة والتي وقفت بكل ثقلها لدعم موقف الإخوان في العراق المنضوين في مجلس الحكم العراقي[(61)].

وليس هنا ما هو غريب فهذا هو موقف حركة الإخوان في العالم فقد خرج علينا الهضيبي بوجهه "الكالح" في قناة الجزيرة بصفته المرشد العام للإخوان المسلمين في حوار مع حسين عبدالغني مدير مكتب الجزيرة في القاهرة حيث سأله هذا الأخير: ما هذا الحضور المكثف للإخوان في مجلس الحكم الانتقالي؟! وهل يتناسب هذا مع شعاراتِ رفضِ الاحتلال التي يرفعها الإخوان المسلمون؟! فقال الهضيبي: إنهم قيادتان فقط! والباقي غير محسوبين على الإخوان المسلمين! ولقد حاول المذيع أن يأخذ من الهضيبي تصريحاً بإدانة المجلس فلم يستطع، فالهضيبي مسك العصا من المنتصف – يرقص بها رقصاً قبيحاً –

(60) يمكن الرجوع لهذه البيانات في موقع الإصلاح على شبكة الانترنت.

(61) يعرف جميع الإخوان في اليمن حقيقة هذا التعميم والذي سبب أزمة داخلية في التنظيم لمعارضة كثيرين لمضمونه.

ويقول: نحن لا نبارك هذه الخطوة، فيطلب منه المذيع أن يدينها فيرفض الهضيبي، فقال المذيع: هل ستطالبهما بالانسحاب من المجلس؟ فيرد بالنص: "أنا لا أطالب بشيء الآن، الآن هم يُتركون لكي يأخذوا فرصتهم، ويشوفوا إيه الأوضاع..." ولكنه رغم كل ذلك لم ينس رفع الشعار والمبدأ الذي يسير خلفه البلهاء، فقال خاتماً كلامه: "من ناحية المبدأ نحن لا نقبل التعاون مع المحتل".

هذا لسان مقاله أما لسان فعاله فهم أحذية المحتل بلا منازع بدليل دخولهم على ظهر الدبابات الامريكية ومشاركتهم في مجلس الحكم الذي شكله الاحتلال، وتشعر من خلال الحوار أن مذيع الجزيرة يريد أن يتقيأ حتى أنه قال للهضيبي: "يعني هذا الموقف يا سيادة المستشار حتى أقل من موقف الأزهر الشريف، الذي تعتبرونه أو يعتبره بعضكم موالياً للدولة أو مؤسسةً تأتمر بأمر الدولة، هناك فتوى من الأزهر الشريف تُحرم التعاون مع المجلس الانتقالي لأنه شُكِّل بموافقة قوات الاحتلال، يعني خُلِق ليكون موالياً لأعداء الله وأنت لا تريد أن تدين الدكتور محسن أو السيد بهاء الدين؟! الذين انضموا إلى المجلس رغم أنك تعلم أنهم لا يستطيعون أن يُبرموا شيئاً إلا بأمرٍ من حاكم العراق الأمريكي؟!" الأخطر من كل هذا كلام الهضيبي عن المقاومة العراقية، فلا تدري هل هو يؤيدها أم لا؟ اقرأ معي أخي الكريم هذا المقطع من الحوار الذي يصيب بالقرف:

- حسين عبد الغني - مقاطعاً -: "أنا كنت مع أحد الزعماء السنة في العراق وقال لي إن الإخوان المسلمون انضموا إلى هذا فقسموا معسكر السنُّة المقاوِم، هناك من يقاوم بالسلاح وبروحه الاحتلال، ويجد أن الإخوان المسلمين موجودون في المجلس".

- مأمون الهضيبي: "حضرتك بتقول إنك رحت هناك".

- حسين عبد الغني: "لا، بل رأيت أحداً في مقابلة".

- مأمون الهضيبي: "أو رأيت أحداً، أنا لا رأيت حد ولا رحت، أنا لا أستطيع أن أدافع ولا أستطيع أن أعرض حقائق الأمور هناك، ومن الصعب ومن غير المقبول ومن الظلم وأظلم نفسي إن تدخلت في أمور العراق التطبيقية والمتفرعة والأوضاع وأنا بعيد عنها وليس عندي من المعلومات ما يمكنني من أن أعرف حقيقتها، النهارده بيقال فيه مقاومة،

ما هي حقيقة المقاومة؟ من الذي يقوم بها؟ هل هم أنصار صدام؟ هل هم أنصار السنة؟ هل من الشيعة؟ هل... من... هذا...".

- حسين عبد الغني - مقاطعاً -: "المطلوب يا سيدي... هل أنت مع المقاومة أم لا؟".

- مأمون الهضيبي: "هذه العمليات اللي بتحصل لحساب من؟ ومقصود منها إيه؟ والدليل على...".

- حسين عبد الغني: "لحساب تحرير العراق".

- مأمون الهضيبي: "الله أعلم".

- حسين عبد الغني: "إذن لماذا تدعو إلى المقاومة؟".

- مأمون الهضيبي: "أنا لا أدعو".

- حسين عبد الغني: "أنا قرأت بياناتك، ولاحظت أنك تدعو إلى المقاومة، إذا لم تكن مؤمناً بحق العراقيين في مقاومة المحتل".

- مأمون الهضيبي: "دا أنا أؤمن بحق العراقيين قوي بالمقاومة وبكل شيء وأن من واجبهم - مش من حقهم - من واجبهم المقاومة، ومن واجب كل الشعب العراقي أن يقاوم بالشعب الذي انضم إليهم غيرهم إذا أمكن من الشعوب العربية والإسلامية، هذا إيمان لا يتزحزح إن شاء الله، ولكن في تطبيق".

- حسين عبد الغني - مقاطعاً -: "إذا كان الهدف هو تحرير العراق فمن يهمني من يقوم به؟ لا يهمني: أنصار صدام، أعداء صدام".

- مأمون الهضيبي: "لا، يهمني إني أعرف إن هم بيعملوا لغرض إيه وإيه".

- حسين عبد الغني: "هم سُنة العراق".

- مأمون الهضيبي: "ومن هم وراءهم؟ ومين عاوزين يعملوا إيه يحققوا إيه، دي مسائل كلها لازم يعني الواحد يبقى على بينة منها" ا. هـ انتهى المقطع!

هكذا حيرة وتناقض وتخبط عجيب لم تعد تعرف هل هؤلاء الناس يحكمهم الشرع؟ أم يحكمهم الهوى وحظوظ النفس الأمارة بالسوء، هل ينطلقون في مواقفهم من شرع الله أم ماذا؟ وإذا كان هذا موقف المرشد العام للإخوان فماذا ينتظر أن يكون موقف الاخوان في اليمن؟ واضطلعت صحيفة الصحوة –لسان حال الإصلاح بدور محوري وهام في خدمة هذا التوجه فأخذت تتبع أخبار محسن عبد الحميد ممثل الإخوان المسلمين في مجلس الحكم الانتقالي الأمريكي في العراق ولم تحتفل كثيراً بأخبار المقاومة العراقية كغيرها من الصحف القومية وصحف الحزب الحاكم وقد قامت بنشر صور الرئيس العراقي صدام حسين حين القبض عليه وهو في أوضاع مهينة وفي صفحتها الأولى وبسخرية لاذعة تبعث على الاشمئزاز كتبت "هكذا نهاية الطغاة؟

وقد وقفت قيادة الإصلاح في وجه الكثير من شباب الإصلاح الذين بدأوا بالتدافع لتلبية نداء الجهاد في العراق وقد استطاعت منع العديد من هؤلاء، البعض منهم تم منعه بالأمر التنظيمي والبعض الآخر بفتاوى لا تجيز الذهاب ألي العراق بحجة عدم وضوح الراية هناك ومع هذا فقد وقفت قيادة الإصلاح عاجزة أمام بعض الشباب المتحمس الذي بقي مصرا على الذهاب إلي العراق حيث تمكن بعضهم بالفعل من السفر عن طريق شخصيات وتيارات جهادية ما جعل قيادة الإصلاح تسارع في تسفير هؤلاء بالتنسيق مع الإخوان في العراق الذين قاموا بدورهم باستقبال هؤلاء الشباب ومن ثم تدريبهم في معسكرات خاصة ليجدوا أنفسهم بعد ذلك حراسا على المنطقة الخضراء جنبا ألي جنب مع المحتل الأمريكي في مواجهة المقاومة العراقية والمجاهدين!!!!! واني لأعجب والله إذا كان هؤلاء لا يرون الجهاد ضد الأمريكان فمتى سيجاهدون؟؟ وضد من سيجاهدون!

مثل هذا الموقف يجعل قيادة الإصلاح عرضة للمساءلة أمام أفراده وقواعده وغيرهم إذ كيف تكون جماعة إسلامية رفعت شعار الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا طيلة ثمانية عقود مضت واليوم تبارك دخول المحتل الكافر إلى دار الإسلام في العراق وهنا تبرز عدد من التساؤلات المنطقية والموضوعية عن شعارات حركة الإخوان المسلمين التي رفعتها طيلة العقود الماضية... هل هي بالفعل شعارات تسعى إلى تحقيقها؟؟ أم أنها لا تعدو أن تكون مجرد فقاعات للاستهلاك اليومي ولضمان الاستقطاب الجماهيري ليس إلا.

وما يؤكده التاريخ والواقع اليوم أن حركة الإخوان المسلمين هي أفضل حركة سياسية عالميا تجيد استخدام الشعارات والأطول زمنيا في ذلك إذ لا يزال رفع هذه الشعارات التي لم تعد تمثل فكر الحركة حاليا هو الوسيلة الوحيدة تقريبا لاستقطاب عناصر جيدة للحركة، وفي الوقت الذي فاحت فيه الروائح النتنة للممارسات الوحشية للجنود الأمريكيين في سجن أبي غريب وقاعدة غوانتانامو في خليج كوبا وأظهرت مدى الوحشية والإرهاب التي يتمتع بها الشخص الغربي وخاصة النازيين الأمريكيين، في هذا الوقت كانت قيادة الإصلاح لا تتوانى عن عقد اللقاءات والزيارات للمسئولين الأمريكيين في السفارة الأمريكية في صنعاء وإقامة مآدب الغداء والعشاء وحفلات التوديع و الاستقبال [62].

ولم يقتصر ذلك على القيادة العليا في الإصلاح والتي تبرر فعلها هذا لتفادي ضربة متوقعة للتنظيم والحيلولة بذلك من إدراج الإصلاح ضمن المنظمات الإرهابية كما كانت توهم أفرادها إذ سرى حمى التسابق للرضا الأمريكي ومظاهر الود وحسن الاستقبال إلى فروع الإصلاح في المحافظات فقد رافقت سيارات العديد من عناصر الإصلاح موكب السفير الأمريكي "إدموند هول "حين زار عدد من المحافظات كمأرب والجوف وحضي باستقبال كبير من قبل قيادات الإصلاح في تلك المحافظات بل بلغ الهوس مبلغه بقيادة الإصلاح في تلك المحافظات إلى أن يقوم رئيس الإصلاح بالجوف حينها بالذهاب إلى مقر إقامة السفير الأمريكي بالمجمع الحكومي دون ترتيب مسبق لهذه الزيارة فأتى حين خروج السفير من المبنى فاضطر السفير لعقد مقابلة معه في الهواء الطلق ما جعل إحدى الصحف الأهلية والتي كانت ترافق السفير في زيارته تلك إلى أن تنشر في صفحتها الأولى مع الصور هكذا وبكل استخفاف (رئيس الإصلاح بالجوف والسفير الأمريكي في لقاء عابر وحوار تحت الشمس "[63].

هذه المحافظات (مأرب والجوف وشبوة)... وهي تشكل هاجس خوف بالنسبة للإدارة الأمريكية حيث يبرز فيها شبح قبائل البشتون الأفغانية وهي التي لقنت الغربيين وعلى

(62) يمكن الرجوع إلى صحيفة الصحوة.

(63) انظر صحيفة النهار الأهلية التي كانت ترافق السفير الأمريكي حين زيارته لمحافظة الجوف.

رأسهم الولايات المتحدة درسا لن ينسوه بسهولة وقبائل هذه المحافظات لا تقل بسالة وانفة وحبا للدين من قبائل البشتون الأفغانية ولقد ساهمت قيادة الإصلاح مساهمة فاعلة في تدشين مشاريع التغلغل والهيمنة الأمريكية في هذه المحافظات الثلاث حيث قامت بدفع العديد من العناصر القبلية والشخصيات الاجتماعية المنتمية أصلا إلى الإصلاح إلى تشكيل جمعية تعنى بالتنمية الاجتماعية قبل إن تتشضى إلى ثلاث جمعيات في المحافظات الثلاث وقد أشرف على إنشاء هذه الجمعية الرئيسة السابقة للمعهد الديمقراطي الأمريكي وهي تمول وتدعم أنشطتها من المعهد الديمقراطي والملحقية الثقافية للسفارة الأمريكية ؟؟؟(64).

إدموند هول:

السفير الأمريكي إدموند هول هو الذي كان قد أشرف على عملية اغتيال أبو علي الحارثي وستة من مرافقيه في صحراء مأرب حسب تصريحاته لصحيفة رسمية حينها ولم يكن النظام الحاكم هو الجهة الوحيدة المتواطئة مع الأمريكان في عملية اغتيال الحارثي ورفاقه إذ تشير معلومات إلى تواطؤ الإصلاح في هذه العملية سواء بطريقة مباشرة كتقديم معلومات عن تحركات الضحايا وتهيئة المناخ الملائم أو بطريقة غير مباشرة كموقف الإصلاح المبدئي من تنظيم القاعدة ووقوفه سياسياً وإعلامياً وإلى اليوم في صف الولايات المتحدة الأمريكية في حربها ضد تنظيم القاعدة ضمن ما يسمى بالحرب على الإرهاب...

وما يعزز فرضية تواطؤ الإصلاح في عملية اغتيال الحارثي هو أنه كان مختبئاً في منزل شخصية إصلاحية قبلية كبيرة قبيل اغتياله بساعات وبحسب معلومات خاصة فإن عناصر تابعة لتلك الشخصية كانت تتواجد في مدينة مأرب يوم عملية الاغتيال بصورة ملفتة وهي نفس المكان الذي يتواجد فيه السفير الأمريكي حينها للإشراف على العملية وما يؤكد صحة هذا التوجه هو أن هذه الشخصية نفسها قامت بعد ذلك وبطريقتها الخاصة بتسليم أحد المطاردين من جنسية عربية إلى حكومة بلاده مقابل مبالغ مالية كبيرة حصل عليها

(64) أتحفظ على أسماء قيادات هذه الجمعيات وأسمائها داعيا إياهم إلى التوبة والرجوع إلى الله.

من تلك الدولة العربية في تجاوز واضح للأجهزة الأمنية اليمنية التي ترتبط مع تلك الدولة باتفاقيات أمنية لتبادل المطلوبين.

بدأ إعلام الإصلاح أكثر قسوة على تنظيم القاعدة والتيارات الإسلامية المطاردة من قبل الغرب ربما أكثر من إعلام القوميين والنظام الحاكم وحين اعتمد النظام الحوار والإقناع الفكري مع عناصر تنظيم القاعدة داخل السجون مما أدى إلى تحييد جزء مهم وخطير من تنظيم القاعدة وقامت السلطة إثر ذلك بالإفراج عن بعض أعضاء التنظيم وعلى رأسهم جمال البدوي وجبر البنا المطلوبين أمريكياَ مما جعل أمريكا نفسها تمارس ضغوطاَ شديدة على الحكومة اليمنية وأدى ذلك إلى حرمان اليمن من مساعدة صندوق تحدي الألفية وأبدت الحكومة اليمنية رفضها الشديد لتسليم البدوي للولايات المتحدة لمخالفة ذلك الطلب للدستور اليمني الذي يحرم تسليم أي مواطن يمني لأي دولة أجنبية بحسب الحكومة اليمنية.

وهو ما أثار حفيظة قيادة الإصلاح فذهبت صحفها من خلال الكثير من الكتابات والتقارير والتصاريح الصحفية إلى تصوير النظام وكأنه الراعي الأول للإرهاب في البلد من خلال علاقاته التي وصفتها تلك الكتابات بالمشبوهة مع تنظيم القاعدة مستخدمة ذلك كورقة لتعرية النظام أمام الولايات المتحدة والعالم في عدم جديته في مكافحة الإرهاب ومحاولة إقناع الغرب بأنها الأقدر على مواجهة تنظيم القاعدة من النظام، مقدمة نفسها كبديل يمكن الاعتماد عليه.

الإصلاح من التعاون الإعلامي إلى التعاون المعلوماتي

لم يقتصر دور الإصلاح على التعاون الإعلامي مع الولايات المتحدة في حربها على ما يسمى بالإرهاب من خلال تبني وجهة النظر الأمريكية في تغطية وتحليل الأحداث، كما ألمحنا إلى ذلك سابقاً، وإنما وصل حجم التعاون بين الطرفين إلى أن تقوم قيادة الإصلاح بتقديم معلومات عن الوضع في البلد شملت جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية وغيرها.

ففي الوقت الذي يعلن فيه النظام عن شراكته وتعاونه مع الإدارة الأمريكية في محاربة الإرهاب وعلى كافة الأصعدة، وبعد اعتراف الرئيس /علي عبد الله صالح في برنامج بلا حدود على قناة الجزيرة في يوم 16- 7 -2003 بأن المخابرات الأمريكية السي آي إيه فتحت لها فرعاً في صنعاء وكذلك المباحث الفدرالية ا لـ اف بي آي وإن كل ذلك تم بعلمه وموافقته، في هذا الوقت أو قبله بقليل كانت قيادة الإصلاح قد أصدرت توجيهاتها إلى كافة وحداتها التنظيمية بضرورة جمع المعلومات إذ أصبح بند جمع المعلومات مفردة ثابتة في المحاضر الأسبوعية بجميع الوحدات التنظيمية المختلفة، وكانت قيادة الإصلاح تبرر هذا العمل لأفرادها بأنها ستستفيد من هذه المعلومات باتخاذ قرارات تخدم العمل الإسلامي في البلد ولقد كان هذا الفعل مبعث قلق وتوجس لدى الكثير من الإخوان لاسيما الملتزمين منهم ومصدر تساؤل عن مشروعية هذا الفعل التجسسي وبرز تساؤل كبير لدى غالبية الإخوان إلى أين يذهب هذا الكم الهائل من المعلومات والذي يتم جمعها أسبوعيا من جميع محافظات الجمهورية؟؟ حتى خرجت علينا بعض وسائل الإعلام الغربية بما لم يكن في الحسبان؛ إذ اكتشفت صحيفة (الأندبندت) البريطانية الصادرة بشهر يوليو عام 2005م عن تواجد (50) عميلاً لـ FBI في اليمن ومهمتهم الرئيسية تكمن في تحليل معلومات استخباراتية مقدمة من أجهزة الأمن ومكتب عمليات مكافحة الإرهاب اليمنية.

وقالت شبكة (أيوراسيانيت) المعلوماتية الإخبارية الأمريكية والتي تتخذ من نيويورك مقراً لها: "إنه بالإضافة إلى المعلومات التي أوردتها (الأندبندت) فإن تحقيقات FBI لم

تقتصر على المعلومات الأمنية والإستخباراتية المقدمة من أجهزة الأمن اليمنية فقط، بل تعدت إلى معلومات سرية تتحفظ عليها كل من الملحقيتين السياسية والثقافية في سفارة الولايات المتحدة بصنعاء وقالت "أيوراسيانيت" إن الملحقية السياسية والثقافية قد ساعدت سرية FBI في الوصول إلى بعض النتائج عن طريق تزويد السرية بمعلومات استخباراتية حصلت عليها من طريق نشاطات وتواصل معلوماتي مكثف بين السفارة وبين عناصر حزبية إسلامية معارضة وقومية، وأشارت "أيوراسيانيت" إلى أن عناصر من حزب إسلامي كبير معارض في اليمن يصفهم مسئولون أمريكيون في صنعاء بأنهم حداثيون ومعتدلون في أفكارهم، يقفون وراء كمٍّ هائل ونشيط من المعلومات الأمنية والإستخباراتية والسياسية والاقتصادية عن اليمن"[65].

ولا تسأل بعد هذا ان رأيت من الإخوان المسلمين من يسترق السمع سواء في المجالس العامة أو حتى في الأسواق لينزوي جانبا ليكتب ما يسمعه من أخبار ليتباهى عند قيادته بما جمع من معلومات ولم يدر هذا المسكين بأن معلوماته هذه ستجد طريقها إلى السفارة الأمريكية بصنعاء.

(65) انظر صحيفة القدس العربي مقال للكاتب عبد الإله حيدر شائع .

جامعة الإيمان والشيخ الزنداني بين مطرقة الغرب وسندان الإصلاح

لقد كان من لوازم الخطة الأمريكية التي تدعو إلى بلورة مشروع رؤية أمريكية للإسلام، من خلال مشروع الشرق الأوسط الكبير وروجت لها الدراسات الصادرة عن مؤسسة راند وقد أشار إليها الرئيس الأمريكي بوش في خطابة المشار إليه أنفا وكذلك وزير الخارجية الأمريكي الأسبق "كولن بأول" من خلال محاضرة ألقاها في جامعة "لوسي فيل" بولاية كنتاكي، والتي من أهم بنودها استهداف المعاهد والجامعات الشرعية الإسلامية؛ باعتبار أنها في نظر الولايات المتحدة الأمريكية من أهم محاضن ومصانع الإرهاب والإرهابيين في العالم، كما أن من أهم بنود تلك الخطة استهداف الشخصيات الإسلامية المناهضة للمشروع الأمريكي في المنطقة من علماء ودعاة ومفكرين، وتهذيب المناهج في الدول الإسلامية بحذف كل ما يسيء إلى الآخر بحسب المفهوم الغربي، وهو المخطط الذي رصد لتنفيذه في باكستان وحدها مبلغ (100) مليون دولار بحسب مصادر مطلعة[(66)].

ولقد شكلت جامعة الإيمان مصدر قلق كبير للأمريكان عبر عنه سفيرها السابق في اليمن "إدموند هول" أكثر من مرة، وضغطت الإدارة الأمريكية على الأطراف المعنية في اليمن: النظام- الإصلاح؛ بخصوص جامعة الإيمان ورئيسها الشيخ الزنداني باعتبار الأول شريك أساسي في محاربة الإرهاب، وهو المسؤول الأول عن البلد بما فيه، والثاني حزب معارض حليف تحتل فيه جامعة الإيمان ورئيسها الزنداني موقع الصدارة، وهي جزء أساسي من مكوناته التنظيمية ومحسوبة عليه، وعلى الرغم من التسابق المحموم بين الطرفين (النظام – الإصلاح) لكسب الرضا الأمريكي، إلا أن الرئيس علي عبد الله صالح يبدي نوعاً من التعنت والرفض أحياناً لبعض المطالب الأمريكية، التي يلجأ إليها ربما لإحراج قيادة

(66) انظر الأولويات الحركية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لمؤلفه/ فتحي يكن..

الإصلاح الذي أصبح من المؤكد لديه بأنها تسابقه بالفعل للحصول على الرضا الأمريكي وتقدم نفسها بديلاً عنه، لقد كان الترحيب الحار من قبل الاصلاح بالحوار مع الغرب مبعث انزعاج وأبدى الرئيس انزعاجاً شديداً من العلاقة المتنامية بين الإصلاح والولايات المتحدة ممثلة بسفارتها في صنعاء، عبر عنها أكثر من مرة في خطاباته التي تناول فيها المعارضة ومنها قيادات الإصلاح، واصفاً إياهم بالمتسكعين على أبواب السفارات الأجنبية [(67)].

هذا التعنت والرفض من الرئيس لبعض المطالب الأمريكية بدا واضحاً من خلال مواقفه من جامعة الإيمان ورئيسها الشيخ عبد المجيد الزنداني المدرج اسمه ضمن قائمة ممولي الإرهاب، والمطلوب أمريكياً تجسد ذلك باصطحابه للشيخ الزنداني في بعض الاحتفالات والمهرجانات ومن خلال زياراته لجامعة الإيمان، والتي كان آخرها قبيل الانتخابات الرئاسية 2006م، مدشناً بذلك حملته الانتخابية، وقد أكد في تلك الزيارة بأن جامعة الإيمان مثلها مثل أي جامعة يمنية تشرف عليها الحكومة اليمنية، وليس في أنشطتها ما يدعو إلى الخوف والقلق واعداً باستيعاب مخرجات الجامعة وتوظيف خريجيها، وكان ذلك عكس موقف قيادة الإصلاح التي ظهرت منزعجة من الشيخ الزنداني وجامعته أكثر من أي وقت مضى، ويمكن تناول ذلك بالآتي:

(67) خطابات رئيس الجمهورية اثناء الانتخابات الرئاسية 2006.

الشيخ الزنداني وجامعة الإيمان بين مطرقة الخارج وسندان الداخل

لم تزل الدوائر الاستخباراتية الأمريكية تحتفظ بصورة الشيخ الزنداني كأحد الشخصيات الإسلامية المتعاونة مع الأفغان في حربهم ضد الاتحاد السوفييتي، وهي الحرب التي كانت تحظى بالدعم الأمريكي ضمن ما يسمى بالحرب الباردة، والتي أدت إلى أفول القطب الشرقي وهيمنة القطب الأحادي الأمريكي على العالم، وما إن جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلا وتداولت المخابرات الغربية اسم الشيخ الزنداني كداعم محتمل لما يسمى بالإرهاب، ونتيجة لتخبط دوائر صناع القرار الأمريكي والهستيريا التي أصابت الإدارة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، جعلها تفتقد صوابها فتقوم بتقديم طلب إلى مجلس الأمن بتجميد أرصدة الشيخ الزنداني ووضع اسمه في قائمة ممولي الإرهاب، ومارست الإدارة الأمريكية ضغوطاً شديدة ضد الأطراف المعنية في اليمن، وما يهمنا هنا من الرصد هو موقف قيادة الإصلاح من الشيخ الزنداني المدرج اسمه ظلماً وعدواناً على قائمة ممولي الإرهاب، وهو الشخصية الإسلامية المعروفة عربياً ودولياً، ومن أكبر الشخصيات الوطنية كأحد مناضلي الثورة اليمنية 26 سبتمبر والذي برز فيها كذراع أيمن وصفي مقرب لأبو الأحرار الشهيد مُحَّمد محمود الزبيري، وفوق هذا فهو المؤسس لحركة الإخوان المسلمين ما يسمى بالتجمع اليمني للإصلاح.

الشيخ المؤسس من التأسيس إلى قفص الاتهام

ربما يتبادر إلى أذهان الكثيرين حين أتناول الشيخ الزنداني في هذه التناولة الكثير من الأسئلة، لماذا الشيخ الزنداني؟ أليس هو من قيادة الإصلاح ومؤسسيه؟؟ وأكثر ما تكون هذه الأسئلة من العامة أو من شباب الإصلاح الذين لا يدرون ربما عن حقيقة الصراع الذي عصف بتنظيم الإخوان المسلمين في اليمن في نهاية سبعينات القرن الماضي، وأدى إلى الانقلاب القيادي ضد الشيخ الزنداني من عناصر الصف الثاني في التنظيم مستبعدين أن يكون هناك ثمة صراع بين قيادات عمل إسلامي، تعتبر العمل تكليفاً لا تشريفاً -بحسب المفهوم الحركي الإسلامي-، معتبرين حدوث مثل هذا الأمر مستحيلاً وفي حكم اللا معقول، وكلام هؤلاء مردود شرعاً وعقلاً وتاريخاً وواقعاً.

والتاريخ الإسلامي والإنساني مليء بأمثلة هذا النوع من الصراع بدأت في داخل البيت الواحد كحادثة قابيل وهابيل من أجل امرأة فقتل أحدهم الآخر، وكحادثة إخوة يوسف للاستحواذ على حب الأب وحنانه مروراً بصراع السلطة والحكم في الصدر الأول للإسلام والذي لا زلنا نعيش آلامه وأوجاعه إلى اليوم، وحركة الإخوان هي في النهاية محصلة جهد بشري مثلها مثل غيرها من التجارب الإنسانية، يطرأ عليها ما يطرأ على البشر من انحرافات وصراعات، وتعتريها عوامل القوة والضعف بين الحين والآخر، إلا أن الإخوان - ليس في اليمن فحسب - ينظرون إلى أنفسهم نظرة مثالية مفرطة تجعلهم ينفون حدوث مثل هذه الصراعات، حتى وإن وجدت فإنهم يسعون إلى وأدها وقتلها في مهدها، أو تفسيرها تفسيرا ينافي حقائق الواقع والتاريخ، ولو رجعت إلى ما كتبه الإخوان المسلمون عن أنفسهم لوجدت أنه يضاهي تاريخ الصحابة والسلف الصالح، إن لم يزدد عليهم في بعض الأحوال، وهو ما أحرج الدكتور يوسف القرضاوي حتى وصف مؤرخي الإخوان وكتابهم بـ

(المناقبيين)، إذ ينظرون إلى تاريخهم وكأنه مناقب وأمجاد، لا مجال فيه للأخطاء والانحرافات كبشر[68].

وحركة الإخوان اليمنية هي من الحركات الإسلامية القليلة التي لا يوجد لها تاريخ رسمي بالمعنى المتعارف عليه، إذ لا تزال تحيط تاريخها بسياج من السرية والغموض، وكل ما كتب عنها من كتابات متناثرة في بطون الكتب والمذكرات لا تعطي الصورة الحقيقية عنها، ولا يمكن التعاطي معها كتاريخ باستثناء بعض الكتابات التاريخية التي تتحدث عن تاريخ حقبة معينة أو حدث معين شاركت فيه الحركة، على الرغم من أن تلك المعلومات التاريخية عن الحركة في بعض الكتب أو المذكرات إن وُجدت فهي لا تسلم من التناقض فيما بينها أو التصادم، وفي تقديري إن هذا التناقض الغريب بين الكتاب الإخوان في تناول بعض الأحداث والتجاهل الغريب من قبل قيادة الحركة في اليمن عن كتابة تاريخ الحركة ما هو إلا نتيجة وإفرازات الصراعات التي تمت بين قيادة الإخوان نهاية سبعينات القرن الماضي[69].

أسس الشيخ عبد المجيد الزنداني أول نواة لجماعة الإخوان المسلمين في القاهرة-مصر-، في منتصف الخمسينات من مجموعة من الطلاب الدارسين هناك، ولأن الشهيد الزبيري (إخواني سابق) بايع الإمام ألبنا نفسه، ولكنه مشغول بالعمل الوطني، فقد ذهب إليه الشباب وأقنعوه بأن يكون مسئولا عنهم والعمل سوياً للإسلام، وقد استطاع الشيخ الزنداني من إقناع الزبيري لقبول هذا العرض وبموافقة الشهيد الزبيري يكون أول أميناً عاماً لجماعة الإخوان المسلمين في اليمن، الذي وجد نفسه لظروف الثورة مضطراً لمغادرة مصر، وهو ما حدث، وكان في صحبته الشيخ عبد المجيد الزنداني الطالب في كلية الصيدلة حينها، وبوصول الاثنين إلى اليمن استطاعا أن يؤسسا لعمل إسلامي كبير من خلال التحالف مع القبائل ومشايخها، وعلى رأس هؤلاء الشيخ عبد الله حسين الأحمر، وكان لثلاثتهم مع مجموعة من إخوانهم الفضل الأكبر في حفظ الثورة من الانحراف عن أهدافها

(68) انظر كتاب سبعون عاماً على تأسيس الإخوان، للدكتور/ يوسف القرضاوي.

(69) لا أهدف إلى تقديم بحث تاريخي عن هذه الحقبة أو عن تاريخ الحركة، ولمزيد اطلاع انتظر كتابنا (الإخوان المسلمين في اليمن. نظرة من الداخل) سيصدر قريباً إن شاء الله (استشهد قبل كتابته).

من خلال عقد عدد من المؤتمرات والتجمعات الشعبية، أبرزها مؤتمر خمر وتأسيس حزب الله في (برط) رداً على التدخلات المصرية في الشؤون الداخلية ومحاولة حرف مسار الثورة.

ولما كان للشيخ الزنداني شعبية واسعة لدى كافة قطاعات الشعب اليمني وخصوصاً أبناء القبائل اليمنية، وبعد سقوط حكومة محسن العيني العلماني المعروف والذي كان للإخوان الدور الأكبر في سقوطها، ما جعل عدة أطراف تمارس ضغوطاً للحد من أنشطة الشيخ وتحركاته، وحين ذلك نجح الصف الثاني من حركة الإخوان المسلمين في اليمن بالتدرج من منتصف السبعينات إلى إقصاء الشيخ الزنداني من قمة الهرم التنظيمي كمرشد للحركة في اليمن، وصولاً إلى الانقلاب النهائي على قيادة الشيخ الزنداني للحركة، وكان أبرز رموز الانقلاب الأستاذ عبد الملك منصور، والأستاذ محمد اليدومي، والأستاذ ياسين عبدا لعزيز القباطي الذي أصبح المسئول الأول لحركة الإخوان في اليمن، بعد أن استطاع إفشال محاولة لعبد الملك منصور بإبعاده هو الآخر ليتم فصل عبد الملك منصور الذي وجهت له تهمة التعاون مع المخابرات لاختراق الجماعة(70). وقد جاء هذا الانقلاب ضد الشيخ الزنداني متزامنا مع الانقلابات التي حدثت في عدد من فروع حركة الإخوان في بعض البلدان وعلى رأسها الحركة الأم في مصر وهو ما يعني وجود توجه فكري جديد على المستوى العام يقود مثل هذه الانقلابات ويستفيد من حدوثها.

وبخروج الشيخ الزنداني من اليمن واستقراره في مكة المكرمة كمندوب لليمن في منظمة المؤتمر الإسلامي، يكون قد خرج من بوتقة الشأن المحلي والاهتمام الداخلي إلى رحاب الشهرة العالمية، كأحد أشهر الشخصيات الإسلامية عربياً ودولياً من خلال بحوثه في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، والتي أتاحت له فرصة الإلقاء بمؤسسات بحثية والمفكرين والسياسيين ورجال الأعمال، وما إن جاءت الوحدة عام 1990م إلا ووجد الشيخ أن من واجبه العودة إلى البلاد للمشاركة في صنع الوحدة وإرساء دعائمها على أسس صحيحة، فكانت معارضته للدستور دولة الوحدة الذي يصفه بالدستور (العلماني) هي أول المراحل

(70) انظر مذكرات علي عبد الله الواسع، وانظر صحيفة القدس العربي- لندن: مقال/ لعبد الإله حيدر، الكاتب المتخصص في شؤون الإرهاب 2006/3/29م.

التي أعادته بقوة إلى الساحة اليمنية، وما إن رجع إلى اليمن إلا واندفعت إليه الآلاف المؤلفة من كل حدب وصوب وبكل عفوية، فمن المهرجانات والاحتفالات إلى المؤتمرات العامة، كمؤتمر الوحدة والإسلام إلى المسيرات المنددة بالدستور كالمسيرة المليونية.

برز الشيخ الزنداني كرجل المرحلة والمهمات الصعبة أو فارس الميدان بحسب تعبير الشيخ عبدا لله الأحمر في مذكراته، واستطاع أن يثبت للداخل والخارج بأنه لا يزال المؤثر الأول والمحرك الفعلي للحركة الإسلامية اليمنية، وإن ابتعد فعلياً عن القيادة التنظيمية للحركة.

لقد أعادت الوحدة اليمنية الشيخ الزنداني إلى الواجهة من جديد، وهذه المرة مدعوماً بعلاقات واسعة وأنصار ومؤيدين في الداخل والخارج أكثر من السابق، هذه العودة لم يكن مرحباً بها في الداخل ولدى بعض النخب، لاسيما بعض الأيدلوجيات التي يناصبها الشيخ العداء كالاشتراكيين، والعلمانيين، الذين أخذت وسائلهم الإعلامية تشن حملات تشهير ضد الشيخ واختلاق الاتهامات والأكاذيب، وكان من الذين لم ترق لهم عودة الشيخ الزنداني قيادة الإخوان المسلمين في اليمن ولكن إلى حين.

مرحلة الإقصاء الثانية

في حين استفادت قيادة الحركة من شعبية الشيخ الزنداني، والالتفاف الجماهيري حوله، في الوقت الذي بدأت بتهميشه تنظيمياً، وتراوحت علاقة قيادة الحركة مع الشيخ الزنداني بين المد والجزر، وكان أول موقف كاد أن يحدث معه تصادم هو موقفه المتشدد من عضوية المرأة في المؤتمر العام الأول للإصلاح ومن ثم ترشيحها لمجلس الشورى، ثم بدأت قيادة الإصلاح من الحد من أنشطته داخل التنظيم، وأخذت تنتقد مواقفه المتشددة وقامت بخذلانه في كثير من آرائه ومواقفه، مما أظهره أحياناً وكأنه مغرداً خارج السرب أو لا يمثل إلا نفسه، والعبارة الأخيرة للسياسي مُحَمَّد قحطان، ليصبح بعد ذلك حديث التناولات الصحفية لكتاب وصحفيين إصلاحيين، على خلفية آرائه وأفكاره التي تصفها قيادة الإصلاح بالمتشددة لمحاولة تشويهه في المجتمع بعد أن تم تهميشه داخل التنظيم وإقصاؤه عن مواقع التأثير والقرار، وقبل أن تطالب أمريكا بالحد من أنشطته، كان حلفاء أمريكا في قيادة الإصلاح قد حدوا عملياً من نشاطه داخل الحزب وفي الأوساط التي يسيطرون عليها، وقبل الهجمة الصحافية والإعلامية من الصحافة الأمريكية، كانت صحف الإصلاح وصحافيون قد نظموا حملة لتشويه صورته، وإقحامه في دائرة جدل وصراع لكسره وإضعاف شخصيته، حتى تجرأت إحدى قيادات القطاع النسوي في الإصلاح إلى وصف الشيخ بالمخادع في صحيفة رسمية، لتعتذر بعد ذلك في صحيفة الصحوة لسان حال الإصلاح، وتقول: "إنما قصدت أن للشيخ الحق في أن يقول ما يشاء كحق ديمقراطي، ومن حقنا نحن أن نقبل أو نرفض" وهو بالضبط ما تريده أمريكا من المرأة الإصلاحية كما سيأتي في حلقات قادمة.

لم يقتصر دور قيادة الإصلاح تجاه الشيخ الزنداني على الحملات الإعلامية التي تشنها صحف الحزب والأحزاب القومية المتحالفة معها، ولم تكتفِ بالإيحاء للآخرين بأن الشيخ الزنداني لا يمثل إلا نفسه والتصريحات الصحفية في ذلك، وإنما سمحت لبعض النقابيين والقانونيين الإصلاحيين برفع دعاوى قضائية ضد الشيخ على خلفية مطالبة الشيخ

بمحاكمة الصحافيين الذين أعادوا نشر الرسوم الدنماركية، وقد توجت تلك المراحل التي قامت بها قيادة الإصلاح تجاه الشيخ الزنداني بمرحلة الإقصاء النهائي في المؤتمر العام الرابع للإصلاح لا للشيخ الزنداني وحسب وإنما أدت نتائجه إلى إبعاد الكثير من العلماء والدعاة وطلاب العلم سواء كقيادات في بعض الهيئات القيادية أو كأعضاء في مجلس الشورى مع الإبقاء على بعض الرموز الدعوية في بعض التكوينات والمواقع الشكلية لكي لا يفقد الحزب شرعيته الدينية أمام قواعده ومجتمعة ليصعد بدلا عن هؤلاء عدد من الحداثيين وأصحاب الفكر المستنير!! كاستجابة للمخطط الغربي القاضي بتحويل الإصلاح من حزب إسلامي دعوي يرفع شعار الإسلام هو الحل إلى حزب مدني يرفع شعار الدولة المدنية هي الحل حسب الرؤية الغربية وبحسب مشاركين ومتابعين لانتخابات ونتائج المؤتمر العام الرابع للإصلاح فان قيادة الإخوان قد استطاعت إثبات مقدرتها على التغيير المطلوب لصالح حلفائها من خلال إقصاء الغير مرغوب فيه من خلال انتخابات شكلية مبرمجة اعتمدت على أعلى فنون التزوير المهذب وبالطريقة الإسلامية!!؟؟ لآراء الشيخ ومواقفه المتشددة في نظر الولايات المتحدة وحلفاؤها من قيادة الإصلاح، خاصة رفضه لحوار الإصلاح مع الولايات المتحدة إلا بشروط لم تقبلها الأمانة العامة للإصلاح، كل ذلك جعل أمريكا تبادر إلى وضع اسمه في قائمة الإرهاب في لحظة من الهستيريا وانعدام الحكمة، وكأنها بهذا الإجراء تضع أسماء جميع أبناء الشعب اليمني في هذه القائمة عدا حلفاؤها هنا وهناك... الخ.

جامعة الإيمان

أما بالنسبة لجامعة الإيمان فقد شكلت مصدر قلق للأمريكان عبر عنه سفيرها السابق (ادمندهول) أكثر من مرة حيث اعتبرها من محاضن الإرهاب ومنتجه للإرهابيين [71] وضغطت الإدارة الأمريكية على الحكومة في هذا الاتجاه وهو ما قوبل بتعنت واضح من قبل الرئيس اليمني الذي أخذ يؤكد في خطاباته بأن جامعة الإيمان جامعة يمنية تشرف عليها الحكومة اليمنية وليس في أنشطتها ومناهجها ما يدعو إلى الخوف والقلق وأن ما يصب عليها من ادعاءات إنما هو محض كذب وافتراء واعتبر أن ما يثار حول الجامعة بأنه زيف ودعايات وراءه قوى مأزومة مهزومة[72].

وقد جاء موقف الإصلاح من جامعة الإيمان متماهيا إلى حد كبير مع موقف الإدارة الأمريكية ومن ذلك أنك لا تجد أي هجمات إعلامية غربية ضد جامعة الإيمان إلا ويسبقها أو يتبعها هجمات أقوى وأشرس من وسائل الإعلام الإصلاحية ويكفي للتدليل على ذلك الضجة الذي أحدثها سعي القطاع الطلابي للإصلاح لتشكيل اتحاد للطلاب.

حيث لا تخفي قيادة الإصلاح انزعاجها من جامعة الإيمان لغلبة الطابع السلفي المتشدد على مناهجها حسب زعمها وأخذت صحف الإصلاح تشن حملات إعلامية في فترات متقطعة على جامعة الإيمان في فترات متفاوتة وصل إلى حد التهكم من الزى الذي تشترطه الجامعة على بعض طلابها في بعض التخصصات الشرعية [73].

وقد رفضت قيادة الإصلاح بمحافظة الجوف فتح فرع لجامعة الإيمان بالمحافظة بناء على أوامر صادرة من الأمانة العامة للإصلاح بعد أن طلب الشيخ الزنداني منهم ذلك وأنا اعني ما أقول هنا بل وقامت بطرد بعض الشباب الذين حاولوا فتح مكتب للتنسيق وتسجيل

(71) صحيفة النهار الأهلية.

(72) الصحوة (1040) 2006/8/24م

(73) انظر صحيفة الناس الإصلاحية العدد (337)2007/3/12م

الطلاب على غرار مكتب جامعة العلوم والتكنولوجيا والذي يحظى برعاية خاصة من قيادة الإصلاح بالمحافظة ومما يجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن قيادة الإصلاح بمحافظتي مأرب والجوف قامت بمنع أفرادها وقواعدها من حضور ندوة تقوية الإيمان والتي عقدتها الجامعة بتاريخ وهو ما أشعر الزنداني بسحب البساط من تحت قدميه في هاتين المحافظتين والتي كان يراهن عليهما كثيرا.

الإصلاح والمرأة

تحتل المرأة مكانة كبيرة في الأطروحات الغربية إذ يعتبر إشراكها في العملية السياسية من أهم لوازم الديمقراطية والتي بدونها لا معنى للعملية برمتها يأتي هذا في سياق الاهتمام المتزايد المصطنع من قبل الغرب بالمرأة وعلى كافة الأصعدة هذا الاهتمام الذي لم يعد يخفى مرماه ومغزاه على أحد، لقد علم أعداء الإسلام أن المرأة المسلمة من أعظم أسباب القوة في المجتمع الإسلامي فانطلقوا يخططون لها في الليل والنهار لشل حركتها والزج بها في مواقع الفتن ومستنقع الرذائل وإخراجها من دينها وإبعادها عن أخلاق الإسلام بكل سبيل وكان من ضمن أساليبهم تقديم المرأة الغربية في وسائل الإعلام على أنها النموذج الذي يجب أن يحتذي ويقتدي به في الوصول إلى قمة السعادة وللحصول على كافة الحقوق الإنسانية والواقع خلاف ذلك، فانخدعت بعض المسلمات بتلك الشعارات وبتلك النماذج الشوهاء فأصبحن يروجن لنموذج المرأة الغربية، الذي هو ترويج للمأساة التي تعاني منها المرأة الغربية، تصاحبه جرأة من قبل الأقلام المارقة على تعاليم الإسلام وأخلاقه، يساندهم في ذلك الضغط الدولي على الحكومات العربية والإسلامية بفرض ما يريدونه عبر المؤسسات الرسمية ولم تكن الدعوة إلى مشاركة المرأة المسلمة في الحياة السياسية إلا فخاً نصب لها فإذا وقعت فيه وقع معها كل شيء وأهم ما في ذلك شرفها وأسرتها، وكأن الذي دفع المستبد والطاغية في البلدان الإسلامية إلى استبداده وطغيانه ومكن له في سدة الحكم إنما هو نكول المرأة المسلمة عن الانتخاب والتصويت للحاكم المطلق الواحد، أو كأن عزوف المرأة المسلمة عن الانتساب إلى الأحزاب السياسية هو السبب الأعظم في أن تكون تلك التعددية الحزبية في كثير من الأحيان إن لم تكن في كلها مسخا مشوها من الحرية السياسية المنشودة.

ومن المؤسف حقا أن يسارع بعض المنتسبين للعلم لإصدار فتاوى تتيح للمرأة الانخراط في الحياة السياسية ولإدماجها في برامج المشروع الغربي ولإضفاء الصبغة الشرعية على تلك البرامج مدعين نصرتهم للإسلام بذلك والإسلام منهم براء، ولقد سارعت قيادة

الإصلاح من وقت مبكر لإقحام المرأة في العمل السياسي حيث منحتها حق الانتخاب من خلال استصدار فتاوى تسمح لها بالتصويت في الانتخابات العامة قبل أن تقحمها في الأطر والتكوينات الداخلية للحزب حتى أوصلتها إلى مجلس الشورى (اللجنة المركزية) الذي يعتبر أعلى هيئة قيادية في الحزب في وسط معارضة شديدة من قبل كبار العلماء في التنظيم وعلى رأسهم الشيخ الزنداني والدكتور الديلمي وغيرهم والذين كانوا يطالبون بإنشاء مجلس شورى خاص بالنساء يناقشن فيه أوضاعهن وقضاياهن الخاصة وهو ما جعل رئيسة القطاع النسوي في الإصلاح إلى أن تصف الشيخ الزنداني في صحيفة 14اكتوبرالرسمية (بالمخادع)[74] قبل أن تعتذر في صحيفة الصحوة بقولها (من حق الشيخ عبد المجيد أن يرى ما يريد وهذا من أبسط الحقوق الديمقراطية!! فمن حقه أن يطرح ما يريد ومن حقنا إن نقبل أو نرفض!!) [75].

وهذا بالضبط هو مراد الديمقراطية الغربية والتي يستوي فيها رأي العلماء ورأي السفهاء والنساء، لا فضل لأحد على أحد، وفي تقديري إن المواقف الهلامية أحيانا لبعض العلماء هي التي جرأت عليهم السفهاء والنساء وهذا هو نتيجة إيمانهم بالديمقراطية الغربية المنحرفة وتشبيههم لها بالشورى الربانية!!.

ولقد قامت قيادة الإصلاح وبرغم أنف هؤلاء العلماء بترشيح عدد من النساء إلى مجلس الشورى في المؤتمر العام الرابع للإصلاح في الوقت الذي حدث فيه السقوط المروع لعدد من العلماء ومشاهير الدعاة على رأسهم أشهر دعاة الإصلاح على الإطلاق مُحَمَّد الحزمي وهزاع المسوري حيث لم يحالفهم الحظ للحصول على عضوية مجلس الشورى بينما تم منح خمسة عشر امرأة العضوية الكاملة في مجلس الشورى!!

(74) صحيفة 14اكتوبر العدد(13053)الصادر يوم 2005/5/20م

(75) الصحوة العدد (975)الصادر يوم 26 /2005/5م

الإصلاح يحرر المرأة على طريقة (هدى شعراوي)

لا يخفى على أحد محاولات الغرب البائسة لإخراج المرأة المسلمة من بيتها وتسويقها كسلعة يباع فيها ويشترى وإدماجها في المجتمع وأسواق العمل تحت مبدأ تحرير المرأة وقد أوعزت إلى بعض عملائها من مخلفات مدرسة الاستشراق إلى الترويج لهذه الدعوة ومحاولة صبغها بصبغة الشرعية الدينية فتحمل وزر هذا الفعل في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الشيخ الأزهري رفاعة الطهطاوي! ولقد أثمرت دعوة الطهطاوي فبعد خمسين عاما من وفاة الطهطاوي ألف قاسم أمين المتوفى 1908 كتاب "تحرير المرأة" وظهرت حمى التقليد الأعمى للمرأة الغربية: فهذه صفية زغلول (التي تنسب إلى زوجها سعد زغلول على الطريقة الغربية) تقوم بشبه مسرحية هزلية مستغلة ثورة الشعب ضد الاحتلال الإنجليزي فتقوم بتظاهرة من النسوة تحت قيادتها ومعها هدى شعراوي داعية التحرير المشهورة وتجمع النسوة أمام ثكنات الإنجليز في قصر النيل بالقاهرة (وهو ميدان الإسماعيلية، والذي أصبح اسمه فيما بعد ميدان التحرير احتفالاً بتظاهرة هؤلاء النسوة)، ويهتفن ضد الاحتلال.. ثم يخلعن الحجاب، ويلقينه في الأرض، ويسكبن عليه الكيروسين، ويشعلن فيه النار.. ويحيا تحرير المرأة!!

لكن ما علاقة الاحتلال الإنجليزي ومقاومته بخلع الحجاب؟!! رغم أنهن خرجن لابسات الحجاب ضمن طوائف المجتمع التي خرجت في الثورة – هذه مسرحية – وتمضي المسرحية، وحرق الحجاب ضاع في زحمة الأحداث؛ لأن الذين كتبوا في الصحافة آنذاك لم يتعرضوا لحرق الحجاب، إنما تعرضوا لضرب الإنجليز للنساء، وبطولة النساء المصريات في مواجهة الإنجليز فما هي إذن علاقة مقاومة الانجليز بنزع الحجاب وحرقه؟؟ وما هو علاقة إيراد هذه القصة بموقف حزب الإصلاح من هذه القضية (أي تحرير المرأة)!!.

ولا أريد من القارئ الكريم استعجال الحكم أو استهجان العنوان الذي كتبناه آنفا فكما قيل إذا عرف السبب بطل العجب وما سنورده هنا من مواقف للإصلاح أو آراء فنحن نمتلك عليها الأدلة الكافية لإثباتها وهي ما تعني أن الإصلاح قد انخرط انخراطا كاملا

في المشروع الغربي حيث لم تكتفي قيادة الإصلاح بإقحام المرأة في العمل السياسي والمزايدة بها في أسواق النخاسة السياسية وإنما أرادت أن تثبت لشركائها الغربيين بأنها مستعدة لتنفيذ كافة البرامج والأجندة الغربية المتعلقة بالمرأة بما في ذلك موضوع تحريرها على الطريقة الغربية وليس إشراكها في العملية السياسية وحسب وما سأورده هنا من مواقف للإصلاح تثبت ذلك!! وهاكم هذه الوقائع، المكان محافظة تعز، والزمان الانتخابات الرئاسية 2006م، والحدث المهرجان الانتخابي لمرشح الإصلاح واللقاء المشترك المهندس فيصل بن شملان، كاتبة وإعلامية إصلاحية معروفة تقوم بإحراق حجابها وسط حشد جماهيري يتجاوز النصف مليون نسمة بحسب صحف الإصلاح وصحف اللقاء المشترك يتقدمهم القيادة العليا في الإصلاح وأعضاء مجلس الشورى، وما إن أعطى مقدم البرنامج الكلمة لهذه المرأة وما إن صعدت إلى المنصة أمام هذا الحشد الهائل إلا وقامت بنزع حجابها من على رأسها ثم تسكب عليه الكيروسين وتقوم بإحراقه وسط ذهول الحاضرين بما فيهم قيادة الإصلاح التي لم تنبس ببنت شفه لإنكار المنكر أما صحف الإصلاح فقد قابلت الحدث بارتياح تام حيث أفردت مساحات واسعة لهذا المهرجان والذي اعتبرته اكبر دلالة على الوعي التغييري لدى قواعد الإصلاح فقد وصفت صحيفة الصحوة لسان حال الإخوان في اليمن في عددها رقم (1046) الصادر بتاريخ 14\9\2006م المهرجان وهذا العدد الضخم بالنقلة النوعية للمعارضة اليمنية؟؟ وأشارت على استحياء في معرض تغطيتها إلى مشاركة هذه المرأة دون أن تذكر عملية حرق الحجاب إلا أن احد كتاب الأعمدة الثابتة في الصحيفة وهو كاتب إصلاحي معروف قد أشاد بمشاركة هذه المرأة في مقاله الأسبوعي وفي نفس العدد حيث كتب ما نصه (المرأة كانت حاضرة وبتميز ايجابي وكثافة الكلمة بعد إن أحرقت رداء الذل!! وبدأت كرائدة قوم وزعيمة في الوعي التغييري لهذه المحافظة وهو ما أصاب (الخبرة) بالهوس وأطار صوابهم!!) أما صحيفة الشريك الأكبر في تكتل اللقاء المشترك صحيفة الثوري لسان حال الحزب الاشتراكي العدد (1929) الصادرة بتاريخ 14\9\2006م فقد سارعت لانتزاع تصريح من هذه المرأة حيث أفردت مساحة خاصة لعملية الحرق في صدر صفحتها الأولى وكتبت بالبنط العريض وباللون الأحمر عن هذه الصحفية قولها (إحراقي للحجاب قصدت منه تحريض أبناء تعز على التغيير!!) وقد

أشارت إلى أنها لجأت لهذه الوسيلة التقليدية كعرف اجتماعي ظلت المرأة العربية تتبعه لتحريك الرجال إزاء أي مظلمة وقعت عليها!!! نافية وجود أي تناقض بين دعوتها للتغيير واستخدامها لوسيلة تقليدية!!!)[76].

وهنا أود توجيه عدد من الأسئلة لقيادة الإصلاح وعلى رأسهم صاحب امتياز صحيفة الصحوة الذي هو رئيس الهيئة العليا للإصلاح مُحَمَّد اليدومي هل الحجاب يعتبر لدى الإصلاحيين رداء ذل!! كما تقول صحيفة الصحوة وكتابها؟؟ وما هو الفارق بين صحيفة الصحوة وكتابها وبين صحيفة المستقلة الماركسية التي تستهزئ بالدين والمتدينين صباح مساء؟؟ ولماذا سكتت قيادة الإصلاح وعلماء الإصلاح عن هذه القضية؟؟ ولماذا لم تأخذ حيزا ولو قليلا من وقتهم وتفكيرهم لإدانتها على الأقل حفاظا على مشاعر أعضاءهم وقواعدهم!! أم أن حمى الانتخابات والتسابق المحموم على أصوات الناخبين قد أجبرت قيادة الإصلاح على التعامي عن هذه القضية؟ وما هي علاقة حرق الحجاب بالانتخابات والمنافسة على كرسي الرئاسة؟ وهل إذا أحرق الحجاب سيفوز بن شملان بالرئاسة؟؟ وهكذا يسكت الجميع ويضيع حرق الحجاب مع زحمة الانتخابات مع أمل الفوز برئاسة الدولة!!! ولاحظ جيدا التشابه الكبير بين إحراق هدى شعراوي وصاحباتها للحجاب في معرض تظاهرهن وهتافهن ضد الإنجليز وبين إحراق هذه المرأة لحجابها في معرض هتافها ضد النظام والسلطة!! ما يعني إن وراء الأكمة ما وراءها!! وليفز بن شملان بالرئاسة.

(76) صحيفة الثوري العدد1929 2006/9/4م

المرأة الإصلاحية والفن الإسلامي!!

لم يعد الجدل حول مشروعية الإنشاد باستخدام الدف - بالنسبة للرجال - من عدمه قائما لاسيما في أوساط حزب الإصلاح و لدى علمائه ودعاته حيث سعت قيادة الإصلاح إلى وأد أي نقاشات حول هذا الموضوع مستخدمة سلطاتها التنظيمية لتكميم أفواه المعترضين من العلماء والدعاة، والذي جاء اعتراضهم على التوسع في استخدام الدفوف والطبول في الإنشاد قبل أن يتوسع الأمر ليشمل آلات موسيقية أخرى، فقد وقفت قيادة الإصلاح ضد الفتوى التي انزلها ثلاثة من كبار علماء الإصلاح من خلال ندوة أقيمت في جامعة الأيمان ونشرت في كتيب صغير يحرمون فيه استخدام مثل هذه الآلات حيث أمرت بمنع تداوله ونشره فقط لأنه يخالف توجهات القيادة التي لا تمانع في استخدام هذا النوع من الآلات متخذه من بعض الفتاوى الشاذة لأهل العلم مستندا شرعيا لتصبح الأناشيد في حقيقتها أغاني ماجنة لا أقل ولا أكثر ولم يكد ينتهي الجدل حول هذا الموضوع حتى سارعت قيادة الإصلاح إلى ما هو اكبر حيث سارعت إلى تشكيل فرق إنشادية خاصة بالنساء في بعض المحافظات وقد روجت وسائل الإعلام الإصلاحية لهذا الأمر لكسر الحاجز لدى المجتمع المحافظ فهذه صحيفة المصدر الإصلاحية - وهي الصحيفة التي استحدثت صفحة بعنوان (فن) خصصتها لمتابعة أخبار المغنين والمغنيات عفوا المنشدين والمنشدات على غرار ما هو معمول به في الصحف العلمانية والقومية تقوم بنشر – مقابلة [77] مع الفنانة منيرة عبد الله إحدى هؤلاء المغنيات عفوا المنشدات والتي تدير فرقة غنائية للنشيد الإسلامي!! في محافظة تعز والتي أشارت في تلك المقابلة إلى تقبل المجتمع لفعلهن هذا بعد أن استطاع الفكر الإسلامي المستنير!! من مواجهة الشيوخ التقليديين المتشددين!! ولم تنس الصحيفة الإشارة إلى أن هذه المغنية حافظة للقرآن الكريم وتحمل شهادة البكالوريوس في القرآن الكريم وهكذا هو نموذج المسلم المعاصر الذي يريده الغرب!! أما صحيفة الصحوة فقد نشرت إعلانا لألبوم غنائي بعنوان

(77) انظر صحيفة المصدر العدد(33) 7 /يوليو /2008م

زينوها للمغنية (المنشدة) الهام عبد الرحمن من إنتاج مؤسسة البر للإنتاج الإعلامي والتوزيع[78].

ولم يتبقى إلا إن تخرج علينا قيادة الإصلاح بفتاوى تجيز للمرأة الرقص وهز الوسط وهو ما يتوقع أن يقومون به قريبا وكل ذلك من أجل مصلحة الدعوة!!

(78) الصحوة العدد(1139) 2008/8/14م الأخيرة.

الإصلاح ومبدأ الحقوق والحريات

تعتبر الحريات من أهم المطالب التي تلوكها ألسنة الليبراليين والعلمانيين حيث أن الحرية إحدى أركان الليبرالية الحديثة.

تناقلت وسائل الإعلام العربية والعالمية وخصوصا الأمريكية منها حين سقوط حكومة طالبان صور ذلك الأفغاني الذي قام بحلق لحيته قائلا لوسائل الإعلام إن الحياة ستكون أفضل من دون لحية أو بمعنى – من دون طالبان– التي أجبرته على إعفاء لحيته وصور بعض النساء الأفغانيات وهن يتسابقن لمحلات الكوافير وصوالين التجميل، وقد جاءت تلك التغطية الإعلامية كنوع من الدعاية للديمقراطية والحرية الأمريكية التي أهدتها هولاكو العصر أمريكا للشعب الأفغاني[79]، مما جعل الرئيس الأمريكي يرفع عقيرته وأمام شاشات التلفزة والمحطات الفضائية ليعلن عن تعهد الولايات المتحدة بحفظ الحقوق وحمايتها في العالم بما في ذك حقوق الشواذ جنسيا كما اشرنا إلى ذلك في خطاباته السابقة باعتبار ان الحقوق والحريات أحد المطالب الكبرى التي تؤرق بال الإدارة الأمريكية والغرب عموما وهي من أهم الأسباب التي دفعت الأمريكان لغزو أفغانستان والعراق ولم تخل خطابات المسئولين الغربيين وعلى رأسهم الرئيس بوش من تهديدات مبطنة للأنظمة الحاكمة في الدول العربية ودول العالم الثالث لمصادرتها لتلك الحقوق ما حدا بأحد زعماء تلك الدول إلى إن يقول يجب إن نحلق رؤوسنا قبل أن يحلق لنا الآخرين وقد شجع هذا الخطاب الغربي الأحزاب بل والجماعات الإسلامية إلى رفع أصواتها بالمطالبة بحقوقها السياسية والمدعومة هذه المرة بالعصا الأمريكية لاسيما وان الإدارة الأمريكية جادة في إيجاد بديل قوي لهذه الأنظمة وما يهمنا هنا هو موقف حزب الإصلاح الذي كان شعار مؤتمره العام الثالث النضال السلمي طريقنا لنيل الحقوق والحريات.

(79) تناست تلك الوسائل الإعلامية ما أحدثته القوات الصليبية من القتل والدمار وتغافلت عن الممارسات الوحشية للجنود الأمريكان في المدن والقرى الأفغانية

لم يكن رفع هذا الشعار من قبل الإصلاح من باب المزايدة السياسية وإنما هو دلالة على مسارعة الإصلاح للحصول على مواصفات الاعتدال الأمريكية.

وتبعا لهذا فقد وجدت قيادة الإصلاح نفسها معنية بالدفاع عن الحقوق والحريات كحقوق المرأة وحرية الصحافة.... لكونها تأتي في أهم المواصفات الأمريكية المطلوبة للاعتدال ولهذا فقد دعي يس عبد العزيز قيادة وقواعد الإصلاح إلى النضال المستمر للدفاع عن الحقوق والحريات من أجل تحقيق الاعتدال المطلوب "وفي هذا المقام أدعو إخواني وأبنائي في قيادات وقواعد الإصلاح في مختلف الوحدات التنظيمية إلى التفاعل الايجابي مع واقعهم والبيئة المحيطة بهم وبذل المزيد من الجهد لتعميق نهج الإصلاح الوسطي المعتدل في أوساط المجتمع.... ولقد كان قرار النضال السلمي لنيل الحقوق والحريات الذي اتخذه المؤتمر العام الثالث بالإضافة إلى قراره بتوسيع التشاور والحوار لبلورة رؤية الإصلاح السياسي والوطني إنما يعبر عن بواكير الفقه الجماعي الذي ننشده") (80).

وكلام يس عبدالعزيز هنا يعطينا دلالة على تلازم الأمرين - أي نهج الاعتدال الذي يدعو أعضاء الإصلاح لتعميقه في المجتمع، والنضال السلمي لنيل الحقوق والحريات والمعنى لا اعتدال بدون حقوق وحريات، بل إن الحقوق والحريات في فقه يس عبد العزيز هي المخرج مما تعانيه الأمة من الضعف والوهن، انظر ماذا يقول في نفس خطابة السابق "ان امتنا وشعوبنا لن تتمكن من التخلص والتحرر من أسباب الوهن والضعف التي أنهكتها وفتحت الباب على مصراعيه للوصاية والهيمنة الخارجية التي استهدفت الأوطان أرضا وشعوبا إلا إذا أعلينا من كرامة الإنسان وصون حقوقه وحرياته".

(80) الصحوة عدد خاص بالمؤتمر العام الرابع 2007/2/25م

ختاما

هكذا حققت قيادة الإصلاح شروط الاعتدال الأمريكية بلا استثناء حتى أنها لكي تظهر احترامها للأقليات الدينية كما هو مطلوب غربيا عمدت جمعيتها (جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية) إلى توزيع الهدايا والملابس على يهود ريدة بمحافظة عمران بمناسبة عيد الفصح اليهودي وهي أقلية يحمل أغلب أفرادها الجنسية الإسرائيلية بينما يتضور أبناء المسلمين جوعا في أغلب المحافظات اليمنية، فكما أن هذا الامر يظهر التخبط العقدي(81) لدى هؤلاء فهو كذلك يظهر مدى العبث الذي يمارسه هؤلاء بأموال المسلمين(82).



(81) يقول الإمام ابن القيم في "أحكام أهل الذمة": (وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول؛ عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن تهنئه بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبداً بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه) اهـ كلامه رحمه الله.

(82) يأتي هذا في سياق الفساد المالي لقيادة الإصلاح والعبث بأموال المسلمين وعن هذا الموضوع انتظر رسالتنا التالية والتي تحمل عنوان (حزب الإصلاح والفساد المالي) (استشهد قبل كتابته).